

أمل دنقل

الفصحى الشريفة العربية الكريمة



www.egyptsons.com

أمل دنقل

الأخوال الشيخة الطاهرة

مكتبة مدبولي

القاهرة

مقدمة

الدكتور / عبدالعزيز المقالح

« أمل دنقل . . أحاديث وذكريات »

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٩٨٧ هـ - ١٤٠٧ م

لم تكن وفاة أمل دنقل مفاجأة لأحد من الأدباء في الوطن العربي . فقد كان كثير منهم يعيشون على أعصابهم قلقاً وانتظاراً لإعلان نبأ الوفاة ، فمنذ ثلاثة أعوام والشاعر الكبير يتعذب ويتساقط قطرة قطرة ونبضاً نبضاً ، وكان واضحاً بعد اكتشاف نوع الداء الذي انتبش أظافره في الجسد النحيل أنه لن يبرح حتى يسلمه للموت ، وأنه لا أمل في العلم ، وأن أقصى ما يقدمه للإنسان العاجز لا يزيد عن تأخير ساعة الوفاة أو إطالة أيام العذاب !!

ومن الملاحظ - ألاحظ ذلك في نفسي - أنه بالرغم

وأقربها إلى الوجدان العام - ولأن النهاية دائماً هي الأقرب
وهي في حد ذاتها الذاكرة التي لا تمحى فلننا سنبدأ من
النهاية .

الحديث الأخير :

حدثني صديق كان في القاهرة منذ أسابيع فقال :
ذهبت إلى المستشفى الذي يرقد فيه الصديق المشترك أمل
دنقل ، دخلت الجناح الذي يقيم فيه ، وسألت إحدى
الممرضات عنه فأشارت بيدها نحو غرفة معينة ، فتحت
الباب ونظرت داخل الغرفة باحثاً عن أمل الذي ودعته منذ
خمس سنوات ، لم أجده هناك رأيت إنساناً لا يمكن أن
يكون هو الشخص الذي أعرفه عدت أدراجي بعد أن
أغلقت الباب ورائي وذهبت مرة أخرى إلى الممرضة
لأسأله عن غرفة أمل دنقل الشاعر ، فأشارت مرة أخرى
إلى نفس الغرفة ، وعدت لأفتح الباب وأفتش في جوانب
الغرفة عن أمل فلم أجده وهممت بالتراجع مرة ثانية إلا أن
أمل عرفني، فناداني باسمي . صوته هو الذي لم يتغير ، أما

من أن وفاة الشاعر الكبير لم تكن مفاجأة إلا أن إعلانها
المتأخر قد هز المشاعر وكان بمثابة صدمة عنيفة لأصدقاء
الشاعر ومحبيه أفقدهم القدرة على الكتابة الشعرية أو
الثرية على حد سواء ، وبما أنني أحد أصدقاء أمل دنقل
واحد الذين رافقوه وقرأوه عن قرب ، فقد أفقدني النبأ
المتوقع القدرة على التفكير والقدرة على الإمساك بخيوط
التعبير عن ألم الوداع ، واكتفيت باسترجاع بعض
الأحاديث والتقاط صور بعض الذكريات الغارقة في قاع
الذاكرة ، وبعض هذه الأحاديث والذكريات يعود إلى أيام
قليلة وبعضها الآخر يرجع إلى سنوات ، فقد عرفت
الشاعر الراحل في أواخر الستينات وقبل أن يظهر ديوانه
الأول الذي شغل به الشعراء . وقد ربطت بيننا - منذ أول
لقاء - مودة كبرت مع الأيام واتسعت في رحاب الكلمة
وزاد تقديري له وإعجابي به عندما أصبح شعره كله صوتاً
مكرساً لقضية الشعب العربي في مصر . وبما أن الأحاديث
والذكريات عن أمل دنقل الصديق والشاعر - كثيرة
وحاضرة بكل وقائعها ورموزها فإنني سأحاول اختيار أقلها

جسمه فقد صار شيئاً آخر ، أي عذاب رهيب يفوق الخيال هذا الذي تعرض له الشاعر ؟ هكذا سألت نفسي وأنا أتوجه نحو السرير الذي يرقد عليه ، وكنت قد قررت أن أتمالك وأن لا يبدو على وجهي أي تأثر أو انفعال يثير في نفسه ، ، الألم ، الأأنني ما كدت أراه بتلك الحال حتى انفجرت باكياً ، لكنه قابل بكائي بابتسامة عريضة ثم سألني : لماذا تبكي ؟ تخاف علي من الموت إنها منيتي المفضلة ، إنه الأمل الأخير ، الطبيب الذي يتفوق دائماً على أمهر الأطباء .. وواصل ابتسامته المتكسرة ، ولأحظت أن قدراً كبيراً من الشجاعة ظل يشع من ملامح وجهه الغائر ..

ومضيت مع الصديق نتجاذب أطراف الحديث وتذكر أمل دنقل القديم ، سنوات العذاب الطويل ، أيام التسكع والجوع ، خلال الفترة التي اشتدت فيها وطأة القهر والظلم والفقر والمطاردة على أمل دنقل قبل أن تشتد عليه وطأة المرض القاتل . قال لي الصديق الذي لن أذكر اسمه بسبب الفقرة التالية من الحديث : لقد كنت في

القاهرة منذ سبع سنوات ، رايت خلاها أمل دنقل أكثر من مرة وذات يوم رأيته كالعادة يذرع الطرقات بحثاً عن صديق يدفع له ثمن الغداء . وعندما رأيته توجه نحوي قائلاً : نصف جنيه ، نصف جنيه فقط ثمن الغداء .

وعندما كنت معه في المستشفى منذ أسابيع مددت يدي إلى جيبتي وأخرجت خمسمائة جنيه وقدمتها إليه في خجل ، ضحك أمل دنقل من تصرفي غير المهذب ، وقال لي : اطو أوراقك يا أخي فلم أعد بحاجة إليها ، كنت منذ سنوات كما تذكر بحاجة إلى ورقة واحدة منها ، وكانت ورقة واحدة تكفي لتسعدني يوماً أو أكثر أما الآن فلا قيمة لها عندي ، إن ما في العالم من هذه الأوراق لا سز شعرة في جفني ، ولا يخفف ألم دقيقة واحدة من عذابي الطويل المرير !!

أطياف ذكرى :

كان قد نشر عدداً غير قليل من القصائد حين التقيت به لأول مرة ، لكنه لم يكن قد أصبح مشهوراً ،

وكان وثيق الصلة بشاعرين من أكبر شعراء القصيدة الجديدة في مصر هما : صلاح عبدالصبور وأحمد عبدالمعطي حجازي ، وكانت علاقته بالآخر وتأثره بشعره أوضح وأصرح . وفي الأعوام الأولى التي تعرف فيها على أمل ابتداء من عام ١٩٦٦ كان أكثر التصاقاً بحجازي وأكثر تأثراً وتقليداً لطريقته في الحياة قبل أن يصير له أسلوبه الخاص وحياته المطلقة التي زادت الظروف في تعقيدها وزادت في الوقت ذاته من عفويتها .

وكانت هزيمة حزيران ٦٧ بداية الانعطاف الحقيقية نحو الشهرة ونحو الشعر ، وليس في هذا ما عيس بعقريه الشاعر من قريب فقد كرست المآسي العظيمة الشعراء العظام ، ومأساة فلسطين هي التي خلقت وكرست أهم شعرائنا أمثال : محمود درويش وسميح القاسم وغيرهما ، وفي الأيام الأولى للنكسة أو الهزيمة كان أمل دنقل يقرأ قصيدة (زرقاء) قبل النشر وهي قصيدة جريئة أكدت خطواته على طريق الشعر ، وكانت عنواناً لأهم دواوينه (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) كنت يومئذ بجواره ،

حد تحذيره عن مجرد التلفظ بها حتى لا يناله الأذى ، لكنه لم يتردد وسارع في نشرها وجعلها بعد ذلك عنواناً لديوانه الأول ، كما قرأها في أكثر من منتدى شعري وفي أكثر من ملتقى أنحوي . . وفي ماتبقى من عام ٦٧ وإلى أوائل السبعينات كانت القصيدة على كل لسان ، فليس قبلها قصيدة وليس بعدها قصيدة نالت ما نالته من الشهرة والذيع ، فقد ارتبطت بالجرح القومي الأكبر ، وكانت تعبيراً عميقاً وصادقاً عن موقف عنترة (الشعب العربي) الذي تركه الحكام في صحراء الاهیال يسوق النوق إلى المرعى ويحتلب الأغنام ويحتر أحلام الخصيان حتى إذا ما اشتدت الحرب وأعلنت المعركة ذهبوا إليه يستصرخون فيه روح الحمية ويدعونه إلى الدفاع عن قصورهم المضاء بالمرات وألوان الترف .

كانت القصيدة شجاعة وجارحة ، وقد وضعت الأدب الحزيراني من أول يوم في موضعه الصحيح قبل أن

يحاول بعض الشعراء والكتاب أن يجعلوا منه شيئاً آخر ،
 فقد حاول أمل دنقل ونجح في أن يجعل منه أدب مقاومة ،
 مقاومة للأخطاء النابعة من الداخل ، ومقاومة للعدوان
 القادم من الخارج ، أدب مجالدة وتحداً لا أدب استسلام
 ولطم حدود وبكاء عاجز على اللبن المراق في صيف
 التعاسة والانكسار !! وكان لا بد لعنترة (الشعب العربي)
 أن يثبت بالدليل القاطع غيابه التام عن المعركة التي دارت
 بين السلطة التي لا يشك في وطنيتها وفي غرورها وبين
 العدو الذي لا يشك في خطره وغطرسته وتنامي أطماعه :
 أيتها النبوة المقدسة ..

لا تسكتي .. فقد سكوت سنة فسنة ..

لكي أنال فضلة الأمان

قيل لي « أخرس .. »

فخرست .. وعميت .. واثمتت بالخصيان

ظللت في عبيد (عبس) أحرس القطعان

اجتز صوفها ..

أرد نوقها ..

أنام في حظائر النسيان

طعامي : الكسرة .. والماء .. وبعض التمرات اليابسة

وها أنا في ساعة الطعان ..

ساعة أن تحاذل الكماة .. والرماة .. والفرسان ..

دعيت للميدان

أنا الذي ما ذقت لحم الضان ..

أنا الذي لا حول لي أو شان ..

أنا الذي اقصيت عن مجالس الفتيان ،

أدعى إلى الموت .. ولم أدع إلى المجالسة ..

تكلمي أيتها النبوة المقدسة ..

تكلمي .. تكلمي ..

فها أنا على التراب سائل دمي

وهو ظمي .. يطلب المزيد ..

أسائل الصمت الذي يخنقني .

« ما للجمال مشيها وفيدا .. !؟ »

أجندلاً يحملن أم حديدا ١٩٠٠

(ديوان البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص ٢٨ دار
العودة) .

ولم يقف الشاعر عند حدود هذه الشكوى ولا عند
حدود هذه التساؤلات الفاضحة لما حدث في صبيحة
الخامس من يونيو ، وهو لا يكتفي باستدعاء زرقاء اليمامة
ولكنه في قصيدة أخرى كتبها في الذكرى الأولى لمناخ الهزيمة
يستدعي المتنبي ويجري بينه وبين كافور حواراً ساخراً حول
مصير - خولة - الفتاة العربية التي اختطفها الرومان من
- أريحا - بعد أن ذبحوا شقيقها :

« سا.إني كافور عن حزني

فقلت إنها تعيش الآن في بيزنطة

شريدة .. كالقطة

تصيح (كافوراه .. كافوراه)

فصاح في غلامه أن يشتري جارية رومية

تجلد كي تصيح (واروماه .. واروماه ..)
.. لكي يكون العين بالعين
والسن بالسن ! .. »

ويصل الانفعال مداه ، كما تصل الشجاعة أيضاً
مداها في محاولته الجرئية فضح القيادة العسكرية المهلهلة ،
وقد استخدم عنصر التضمين الشعري كأقوى وأجود ما
يكون الاستخدام وأصبحت الأبيات المضمنة أكثر التحاماً
وتداخلاً في بناء القصيدة وفي إعطائها الدلالة الرمزية
التأريخية وليس كما فعل ويفعل بعض شعراء القصيدة
الجديدة الذين يقومون بما يشبه عملية (اللصق واللزق)
حيث يظل أسلوب التضمين سطحياً وناشزاً عن السياق
الفني والنفسي ، وقد رأينا في المثال الأول كيف نجح في
دمج البيت الشهير (ما للجمال مشيها وثيدا) ولتر الآن
كيف ومتى ولماذا ، جاء بأبيات المتنبي في آخر قصيدته
الغاضبة « من مذكرات المتنبي في مصر » وهي في رأيي من
معالم شعر ما بعد حزيران :

تسألني جاريتي ان اكرتي للبيت حراسا
فقد طغى اللصوص في مصر .. بلا رادع
فقلت : هذا سيفي القاطع
ضعيه خلف الباب .. متراسا
(ما حاجتي للسيف مشهورا
ما دمت قد جاورت كافورا ؟)
« عيد بأية حال عدت يا عيد ؟

بما مضى ؟ أم لأرضي فيك تهويد ؟
(نامت نواظير مصر) عن عساكرها
وحاربت بدلا منها الأناشيد
ناديت يا نبيل هل تجري المياه دما
لكي تفيض ، ويصحو الأهل إن نودوا ؟
« عيد بأية حال عدت يا عيد ؟

لقد حقق أمل دنقل بقصائده الجريئة عن النكسة
وآثارها شهرة واسعة ، وتحقق له من النجاح في عام واحد

ما لم يتحقق له في سبع سنوات هي عمر كل محاولاته
الشعرية السابقة . كان الطريق إلى الشعر قبل ذلك طويلاً
وشاقاً أما الآن فقد صار أقصر مما كان يظن وإن كان ما
يزال أشق مما كان يتوقع وذلك بسبب الاصرار على الجنوح
إلى كتابة الشعر اللاذع ، وبسبب اختياره الطريق النبيل
والصعب ، طريق اشعال الحرائق في وجدان الجماهير
النائمة المهزومة ، تلك الجماهير التي كانوا وما يزالون
يتحدثون عنها في القصائد وفي الخطابات وفي الصحف كما
يتحدثون عن فتران التجارب وأرانب المعامل ولكن دون
إحساس حقيقي بما تعاني ولعل أهم ميزة يتميز بها شاعر
كبير كأمل دنقل أنه لم يكن يخاف من شيء أو يخاف على
شيء وقد ساعدته عفويته المنطلقة وطبيعته غير المنضبطة
على الاحتفاظ بنقائه وتمرده ..

أطياف حديث :

بعد ثلاثة أعوام تقريباً من وقوع الهزيمة التي مزقت

حياة العرب المعاصرين وشوهت معالم الأيام العربية ،
 رحل المناضل جمال عبدالناصر ، وكانت وفاته أو بالأصح
 كان غيابه عن الساحة العربية في مثل تلك الظروف
 الفاجعة هزيمة أخرى ، وبعد رحيل عبدالناصر بأربعين
 يوماً التقى الشعراء العرب من مختلف الأقطار العربية
 لتأبين الزعيم الراحل وفي الاستراحة الجانبية للقاعة
 الكبرى للاتحاد الاشتراكي ، كان عدد من الشعراء والنقاد
 يقطعون الوقت في انتظار لحظة افتتاح الاحتفال التأبيني ،
 وكنت قد أخذت لي مكاناً بينهم ، وكان أمل دنقل قد
 اختار مكاناً قصياً في الاستراحة جيداً وبعيداً عن
 الآخرين ، كان يبدو متوتراً ، يكثر من التدخين وكأنه
 يلتهم السجائر التهاماً وبين حين وآخر ينظر إلى السقف
 كأنما يحاول اختراقه بنظراته الحادة . قال أحد الحاضرين
 لعله يعاني من حالة شعرية وربما كان متوحداً لأن قصيدة
 الرثاء لم تكتمل بعد ، وقال آخر ربما أن أحد الحاضرين قد
 حاول الاساءة إليه فابتعد مؤقتاً ليلدد شحنة الغضب ثم
 يعود إلينا ليملاً المكان بملاحظاتة وضحكاته (وقفشاته)

المختلفة ، وانطلق صوت شاعر شاب يقول : إن أمل
 يعاني من حالة حزن حقيقي لغياب عبدالناصر ، فقد كان
 الرجل بالرغم من كل شيء الحارس الأمين للكلمة
 والشعرية منها خاصة . واستقر الحديث بعد أن جال وتنقل
 في ميادين شتى حول عبدالناصر وكيف كان يتعامل مع
 الأدباء بطريقة تختلف تماماً عن تعامله مع السياسيين
 وينحسب ذلك التعامل على الأدباء الملتزمين أو
 المتسيسين . وقد نال الشعراء بخاصة طوال عهده حظوة
 كبيرة وشملهم برعاية خاصة ، فهو لا يسمح للأجهزة
 بمصادرة أعمالهم الأدبية أو يمنعهم عن النشر والسفر ، ولم
 يكن يسمح للصحافة في مصر أن تتناول بالاساءة اياً من
 شعراء العرب الذين يختلفون مع النظام الناصري . حدث
 ذلك مع سليمان العيسى ، ومع الجواهري ، ومع
 البياتي ، ومع الفيتوري ، ونزار قباني ، وقد اشتهر لكل
 هؤلاء قصيدة أو أكثر في مهاجمة شخص عبدالناصر
 بالذات وقد ظلت القاهرة مفتوحة لهم بعد موافقهم ، كما

كانت قبل ذلك ، وقد ظهر في وقت متأخر من حياة
عبد الناصر بعض المشاعرين الذين حاولوا من منطلق
المنافسة غير المتكافئة الاساءة والتشويه المتعمد لأدوار
ومواقف بعض الشعراء خارج مصر مما اضطر عبد الناصر
نفسه إلى أن يتدخل ويضع حداً لهذه الظاهرة المعادية
للشعر والشعراء .

كان عبد الناصر - إذن - بحسه الثوري يدرك أن
الشاعر الحقيقي في مصر أو في بقية الأقطار العربية يشكل
طاقة حدس واكتشاف خلاقه فالشاعر ليس كزقراء اليمامة
ترى الأشياء عن بعد ولكنه يرى الأشياء والأحداث بعين
بصيرته الشعرية ويتنبأ بها قبل وقوعها وقد نشر الشعراء في
مصر قصائد تنبأت بالنكسة ونهت إلى ما حدث قبل أن
يحدث ، ونشرت الأهرام في ما تذكر قصيدة للشاعر محمد
إبراهيم أبو سنة قبل النكسة بأسابيع وكان عنوان القصيدة
(نحن غزاة مدينتنا) وكأنما كانت تقرأ ما سوف يحدث في
صحائف مكتوبة من قبل .

يكون . . لا يدرون
أن كل واحد من الماشين
فيه . . صلاح الدين .

كان الليل داكناً مكتئباً حين رجعنا من حفل
التأيين ، وكانت الأضواء الصفراء في الميادين والطرقات قد
زادت اصفراراً وشحوباً . وكان زميلنا الذي يقود سيارته
والدموع تملأ عينيه يردد القسم الذي أطلقه أمل دنقل ،
وكان مثله يحلم بعودة سيناء ويسقوط النجمة السادسة من
فوق حائط المبكى إلى التراب . . .

« امل دنقل وانشودة البساطة في الشعر »

كان وصف (الشاعر الصعلوك) يتردد كثيراً في الأوساط الأدبية المصرية كلما ذكر امل دنقل وكثيراً ما قيل هذا الوصف بحضوره فيضحك ويعتبر هذا الوصف أو اللقب إذا جاز أنه كذلك ، يعتبره تحية كريمة لشاعر معاصر ينأى بنفسه عن الاقتداء بالشعراء المدجنين شعراء الحواضر والصالونات المعطرة والبذلات الأنيقة والسيارات الفارهة . كان واحداً من موكب جليل للشعراء الصعاليك المعاصرين الذين يرغبون عن عالم المغريات المختلف وأن يظلوا خفافاً نظافاً لا تأسره زينة الحياة الدنيا ولا تشدهم إلا بمقدار ما تمكنهم معطيائها الصغيرة من الكتابة والابداع .

ومن حسن حظ الشعر العربي في مصر وفي بقية الأقطار العربية أن الشعراء الحقيقيين لم يرتفع بهم شعريهم أو بالأصح لم ينخفض بهم إلى مستوى البذخ المادي والترف الحيائي ، وقد أثبت الشعر على مر العصور بما في ذلك العصر الحديث أنه كفيلاً بأن لا يلحق أسرار العميقة ولا يضع ناره المقدسة إلا في النفوس الزاهدة والقلوب البريئة من التطلعات المريضة ، وقد ظلت تلك هي أبرز سمات الشعراء الحقيقيين جيلاً بعد جيل فلم تطوح بهم الرغبات الخاصة وتدفع بهم بعيداً إلى سراديب مضاء تصرفهم عن الشعر وتصرفهم عن الناس ، وإن كان قد حدث غير ذلك فهو استثناء عن القاعدة والاستثناء كما يقول المناطقة لا يعول عليه ولا يؤخذ به .

وقد كانت الصورة الشائعة عن امل دنقل هي صورة الشاعر الصعلوك ، لكنه كان صورة فريدة في صعلكته وفي محافظته على تقاليد الصعلكة الشعرية بثوبها المعاصر ، وقد سمعت من يحاول أن يقارن بينه وبين الشاعر المرحوم

عبد الحميد الديب الذي هزت أخبار بؤسه الثلاثينات والأربعينات وحفلت المقاهي والمستديات في تلك الفترة بأحاديث بؤسه وبمطارحاته وإهاجيه المتنوعة ، إلا أن الفارق بين الشاعرين كبير والفارق بين الصعلكتين أكبر ، صحيح أن البؤس الذي عانى منه الشاعران كلاهما متشابه ويكاد يكون واحداً إلا أن بؤس الأول ذاتي وناتج عن نهم شديد إلى الحياة في حين أن بؤس الآخر عام وناتج عن زهد في الحياة ، ولو أن الشاعر الأول وجد الأبواب الواسعة إلى النعيم كما وجدها الثاني لما تردد عن دخولها غير هياب ولا متحرج وهذا الفارق الأخير يكفي لمعرفة ما بين الشاعرين من تباين واختلاف وفضلاً عن هذا وذاك فإن أمل دنقل شاعر يمثل مرحلة اجتماعية مختلفة كل الاختلاف عن المرحلة التي ظهر فيها عبد الحميد الديب والهموم التي حاول التعبير عنها تختلف كذلك عن هموم المراحل السابقة كلها .

لقد انفق أمل دنقل ساعات كثيرة من حياته في

لقاهي - كما فعل عبد الحميد الديب تماماً لكن أحاديث لقاهي اختلفت والقصد من ارتياد المقهى اختلف أيضاً ، القضية التي تؤرق أمل دنقل ما كانت لتخطر على ذهن عبد الحميد الديب ، وإذا كانت قد خطرت على ذهنه فبقدر كبير من الغموض ، وإذا كنت قد أشرت في ما سبق من حديث الذكريات فإن شريطاً طويلاً حافلاً بالذكريات التي تتواكب من قاع الأيام الراحلة ، ولعل أكثرها بروزاً ووضوحاً صورة أمل دنقل في بيته أو بالأصح في إحدى الشقق الكثيرة التي استأجرها الواحدة بعد الأخرى لتكون مقراً للنوم . كانت واحدة منها شقة أرضية من غرفتين في ميدان العجوزة استأجرها لفترة وعاش فيها مع زميله الصديق الشاعر حسن توفيق ، وقد زرتهما في هذه الشقة عشرات المرات رافقي في معظم تلك الزيارات الصديق الشاعر محمد الشرفي أثناء عمله في سفارتنا بالقاهرة ، وقد اعتدنا أن نذهب إلى الشقة قبيل الغروب ، وفي كل مرة كنا نرى أمل دنقل إما نائماً أو مشغولاً بأعداد طعام الغذاء

مع زميله ، وكنا نقضي فترة انتظارهما للطعام في حديث
عن الشعر والأدب وفي قراءة بعض القصائد وكان الغداء
متواضعاً في كل يوم ولا يزيد عن البطاطس وأرغفة الخبز
وبعض الأوراق الخضراء . وكثيراً ما امضينا الساعات
الطويلة بعد أن يتناول الشعاران البائسان غداءهما أو
عشاءهما في أحاديث أدبية ، وفي معظم الأحيان كنا نتوجه
إلى دار الأدباء أو إلى منزل الصديق محمد الشرقي لقضاء
سهرة أدبية لا تقتصر على أمل وزميلة ، إذ غالباً ما ينضم
إليها صلاح عبدالصبور وأحمد عبدالمعطي حجازي وغيرهما
من الأدباء والشعراء الكبار الذين يضيئون الليالي
بأحاديث الفكر والأدب وبروائع الشعر ، ولعل الفترة التي
قضاها أمل دنقل في شقة ميدان العجوزة أسوأ فترات
حياته وأحفلها بالمتاعب وانتفاء الاستقرار وقد وصل الحال
به وبزميله الشاعر حسن توفيق إلى أن يتبادلا ارتداء قميص
واحد في الحفلات والسهرات ولعدة أشهر ، فإذا خرج
أحدهما انتظر الآخر في المنزل حتى يعود زميله ، والغريب

أنه بالرغم من ذلك الحال وربما بسببه فقد كانت تلك
السنوات هي أخطر وأهم سنوات الانتاج الشعري وأهم
سنوات المواجهة الحادة بالكلمة ، وفي هذه الفترة كتب أمل
أهم قصائده وأجملها واكتسب شهرة فائقة قفزت به من بين
شعراء الشباب إلى مستوى صلاح عبدالصبور وأحمد
عبدالمعطي حجازي إن لم تكن قد تجاوزت به هذين
الشاعرين الكبارين . وكانت قصيدته (أغنية الكعكة
الحجرية) حدثاً في تاريخ الشعر السياسي في مصر وفي
الشعر العربي بأجمعه ، وقد كتبها وسط مظاهرات الطلاب
ومصادماتهم الشهيرة مع شرطة النظام في عام ١٩٧٢ م
ومنها هذا المقطع الذي يخاطب الشاعر فيه مصر التي
ارتعشت يومئذ من خلال مظاهرات الطلاب وتلمل
الشعب :

اذكريني !!

فقد لوثنى العناوين

في الصحف الخائنة

لونتني لأني منذ الهزيمة لا لون لي

غير لون الضياع

قبلها كنت أقرأ في صفحة الرمل

والرمل أصبح كالعملة الصعبة

الرمل أصبح أبسطه تحت اقدام جيش الدفاع !

فاذكريني، كما تذكرين المهرب والمطرب العاطفي ..

وكاب العقيد ... وزينة رأس السنة

اذكريني إذا نسيتني شهود العيان

ومضبطة البرلمان

وقائمة التهم المعلنة

الوداع !

الوداع !

(من ديوان العهد الآتي) .

أنشودة البساطة :

كان أمل دنقل شاعر البساطة في زمن التعقيد

والغموض ، وأول ما يلفت الانتباه في قصائده البساطة

الحادة المصقولة التي تتحول إلى أنشودة مفرطة التواضع

« وأنشودة البساطة » تعبير حديث أطلقه بين شباب الكتاب

والشعراء الكاتب الفنان يحيى حتي ، والبساطة عند ذلك

الشيخ الوقور - كما فهمها جيل أمل دنقل - لا تعني التمرد

على القواعد اللغوية أو الخروج على الأسس الفنية للكتابة ،

ولا تعني الرقة والتبسيط ، إنما تعني تلقائية تناول أو عفوية

التعبير ، والابتعاد عن خشونة اللفظ إلى خشونة المعنى ،

وتحويل العمل الأدبي من شعر لا يفهم محتواه سوى نفر

قليل من الكتاب .. إلى أنشودة جماعية وإلى لغة فن

ووجدان . ومن السهل جداً أن يتبع المتلقي فضلاً عن

الدارس تجربة أمل دنقل الشعرية وأن يتبين ملامح القراءة

في هذه التجربة التي تختلف عن تجربة الآخرين من زملائه

ومن الشعراء الذين سبقوه وقد ظلت تجربته متميزة منذ

البداية الصحيحة إلى أن توقفت مع الوفاة . وكانت

بساطته في تناول تجعله يرى أن الفرار من المباشرة لا يعني

الفرار من المحيط المباشر للواقع ، ولا تعني الفرار من

مواجهة العذاب الانساني والخراب والدمار والتشويه ،

وهذا الموقف جعله لا يقيم كبير وزن لما يسمى بالألفاظ

الشعرية ، أو بالمعاني المعقدة ، وهو في نثره القليل الذي تضمنته مقابلاته المنشورة في الصحف والمجلات لا يكف عن الهجوم السافر الحاد على كثير من شعراء القصيدة « المتجاوزة » وهو يرى أن معظم التجاوز يقف عند دائرة اللغة وحدها وعند الشكل وحده وهو يعتقد أن ذلك الصنع لا يزيد عن كونه نوعاً من الهروب عن مواجهة الواقع « ولأن فقدان الثقة عند الشاعر في تغيير هذا الواقع قد أدى به إلى أنواع من استجلاب وسائل فنية في ظل حضارة مختلفة ومحاولة فرضها على المجتمع الثقافي - العربي ، ومن هنا تحول الشعر الحديث إلى شعر مثقفين ، في حين أن وظيفته الأساسية هي في ارتباطه بالناس . وقد كان انتصار الشعر الجديد منذ البداية راجعاً إلى ارتباطه بالناس ، وتحياوبهم بالتالي معه ، وتحليلهم عن الشكل القديم .. وما يؤدي إليه هذا التجاوز الحديث عن المطلقات .. ومن هنا فإن هذا التجاوز للواقع يحتاج إلى تجاوز للطرائق الفنية التي يتم بها التعبير عن هذا الواقع ، واستحداث طرائق بديلة واستجلاب لمذاهب فنية ، أو

لجوء إلى الايهام بمحاولة تغيير الواقع أو الايهام بالثورة عن طريق ثورة شكلية فقط . . . الشعر لا يلقي أسراراً العميقة ولا يضع ناره المقدسة إلا في النفوس الواجدة وفي القلوب البريئة من التطلعات المريضة « أي تكون الثورة على مستوى الشكل فقط .
(ندوة مجلة فصول عن قضايا الشعر المعاصر المجلد الأول العدد الرابع يوليو ١٩٨١ م) .

ومهما يكن نصيب وجهة النظر هذه من الخطأ أو الصواب فإن وراءها موقف شاعر كبير يدرك أنه خارج من احزان أمة كبيرة أسيرة اخطبوط خطير هائل من المعاناة والمشاكل ولا بد من أن تحس بالخطر الذي يتهدها ، ومهمة الشاعر بالذات أن يوصل هذا الاحساس إلى وعي الأمة وأن لا تتحول قصائده إلى مفردات قاموسية مجردة عن أي معنى أو إلى معان مطلقة تسعى إلى تخدير الوعي وامانة الحواس بدلاً من ايقاظها ، وفي مرحلة الهوان والانحطاط كالمرحلة التي نعيشها الآن لا بد أن يتخلى الشاعر عن

الوقوف في دائرة الأحلام الذاتية وقبل أن يحاول التحرر من القوالب الميتة أو التي يراها كذلك عليه أن يتجنب الوقوع في ما هو أخطر من هذه القوالب كالشكلية وتزييف الواقع ، تلك هي بساطة أمل دنقل التي جعلت من شعره صوتاً عميقاً وبسيطاً ، ومن المهم قبل ذلك وبعد ذلك أن نعلم أنه هو نفسه قد كان انشودة من البساطة والتواضع .

تمجيد التمرد في زمن الخنوع :

قضية الاساءة إلى الشعراء وتكفيرهم ومحاولة الانتقام من كبارهم تحت مختلف الادعاءات ، قضية شغلت الجانب الأكبر من تاريخ الشعر العربي ، ولم يسلم في الماضي من تهمة الزندقة والاحاد سوى صغار الشعراء ومن لا وزن لهم في الحياة والشعر على السواء . وقد شغلت هذه القضية عدداً من الباحثين ، وقد تلقيت منذ وقت قصير رسالة من باحث صديق تشغله القضية ويعد عنها رسالة دكتوراه ، يعكف عليها منذ خمسة أعوام . وقد لخص الهدف الذي يسعى إليه من دراسته بمحاولة التعرف

على الأسباب الكامنة وراء محنة الشعراء ولماذا الشعراء بالذات ، وقد رأى من خلال البحث الموضوعي القائل على النزاهة والصراحة - وهو يكتب الشعر - رأى أن كثير من التهم التي توجهت نحو الشعراء قد كانت موجهة في الوقت ذاته نحو الفلاسفة ورجال الدين وأصحاب المذاهب والمتكلمين ولكنها كانت مع الشعراء - عب العصور - أكثر حدة فلم تذبح التهم الكبيرة فيلسوفاً وأقادت إلى قتل رجل دين لكنها قتلت كبار الشعراء ، لماذا هذا هو السؤال الذي يبحث صديقي في رسالته للدكتوراه عن الاجابة عليه وهو يتلمسه عند عدد من الشعراء الاحياء وعند بعض الأدباء الذين تؤرقهم المحنة التي انسحبت إلى عصرنا من سلبيات العصور القديمة .

تذكرت محنة الشعراء هذه الأيام وأنا أعيش ذكريات محنة صديقي الشاعر أمل دنقل فقد عانى بالإضافة إلى محنة الفقر والتشرد وإلى محنة القمع والارهاب محنة التكفير نعم محنة التكفير ، وكانت قصيدته « كلمات سبارتاكوس

الأخيرة « واحدة من القصائد التي وضعها » زعماء محاكم التفتيش « على مشرحة التكفير ، والقصيدة تدعو إلى التمرد ضد الطغيان وتمجد دور العبد سبارتاكوس الذي امتشق السيف في وجه العبودية وفي وجه روما العابثة بانسانية الانسان ومطلع القصيدة وهو الأكثر اثارة يقول :

المجد للشيطان .. معبود الرياح

من قال (لا) في وجه من قالوا (نعم)

من علم الانسان تمزيق العدم

من قال (لا) .. فلم يمت ،

وظل روحاً أبدية الأمل !

المجد هنا ، ليس للشيطان (ابليس) ولكنه للشيطان (سبارتاكوس) ذلك العبد الشجاع الذي اشتاقت نفسه للحرية فقال (لا) في وجه (القيصر) وكانت النتيجة أن اسمه ظل على كل لسان وظلت روحه الأبدية الأمل تزرع الشجاعة في نفوس العبيد وتدفع بهم إلى الصفوف الأولى من المواجهة ، وقد فهم صغار العقول في

محكم التفتيش المعاصرة أن الشاعر يمجّد ابليس وأنه بذلك قد كفر ، وأن دمه قد صار حلالاً . وقد حاول صغار العقول هؤلاء أن يصلوا بصرخاتهم الحاقدة إلى (أهل الحل والعقد) إلا أن الصرخات ضاعت في أرض مصر الواسعة الأرجاء ، وظلت تتردد همساً في دهاليز الكراهية إلى أن رحل الشاعر عن عالم الحقد والطغيان وأخذ الله إلى جواره الرحيم الكريم .

لقد كتب الشاعر قصيدته في الاسكندرية وفي شارع الاسكندر الأكبر وهو يتذكر الجموع الفقيرة الغفيرة وهي تسير في الشوارع غنية الظهور مثقلة الأعناق كقطيع الأغنام ؛ لا صوت يرتفع بكلمة (لا) الكلمة السائدة والشائعة هي (نعم) مصحوبة بالنسبة المعروفة (٩٩،٩٩) تذكر الشاعر كل ذلك فكتب قصيدته التي حاول فيها أن يعلم الجماهير العربية المضطهدة أن تقول (لا) حتى وإن كانت العاقبة لا تختلف كثيراً عن عاقبة ذلك الثائر المعلق في مشنقة على مدخل المدينة الظالمية :

معلق أنا على مشانق الصباح

وجبهتي - بالموت - مخنية

لأنني لم أحنها .. حية

.....

يا اخوتي الذين يعبرون في الميدان مطرقين

منحدرين في نهاية المساء

في شارع الاسكندر الأكبر :

لا تمجلوا .. ولترفعوا عيونكم إلي

لأنكم معلقون جانبي .. على مشانق القيصر ..

فلترفعوا عيونكم إلي

لربما .. إذا التقت عيونكم بالموت في عيني

ينسم الفناء داخلي ..

لأنكم رفعتم رأسكم مرة .

وبعد أن طهرت آلام المرض العنيف روح الشاعر
الكبير وجسده الهزيل ، وعندما رحل إلى جوار ربه الغفور
الرحيم لا أشك في أنه قد غفر لخصومه من أنصار محاكم

فتيش ودعاة التكفير ولكن هل اعتذر له هؤلاء هل
اولوا أن يستغفروا لذنبهم الكبير ، ذنب اتهام المبدعين
بقتل المواهب ؟ كان الشاعر متهاً منذ كان متنبياً
بيلة وصوت احزانه ، ورجال الدين يتهمونه بالتجديف
الحاد .. ورجال السلطة يتهمونه بالخروج على النظام
عظيم الاستقرار الموهوم ومن سوء حظ الشاعر الحقيقي
العصر الحديث أن التهم القديمة لم تتغير ولم تتطور
برات العصر وتطوراته .. في مواجهة جدار اليأس
حباط

آه .. ما أقسى الجدار

عندما ينهض في وجه الشروق

ربما ننفق كل العمر .. كي نثقب ثغره

ليمر النور للأجيال مره !

.....

ربما لو لم يكن هذا الجدار ..

ما عرفنا قيمة الضوء الطليق .. !

(سيزيف) ذلك البطل الأسطوري المحكوم عليه بحمل الصخرة إلى القمة لكي تعود إلى القاع ثم يعود هو إلى حملها من جديد إلى القمة في رحلة عذاب لا تنتهي بين القاع والقمة (سيزيف) هذا أي معنى لحياته التافهة المكرورة إن خلت من هذا العذاب المظني الرتيب . وأي عذاب للانسان بدون هذا الجدار الذي يحاول بجهده الانساني أن يفتح عليه ثغرة للنور ، نور المعرفة والتغيير إلى الأفضل والأجمل والأنقى . . وإذا كان الشاعر الكبير امل دنقل قد ظل يحفر في الجدار ورحل قبل أن يتدفق شلاله للنور المنتظر فإن كلماته ستظل تواصل الحفر والطرق على وجه الجدار الواقف في وجه الشروق إلى أن ينهدم الجدار ويتدفق انهاراً من الاشواء ، فمن غير المعقول أن تظل الأرض العربية تنزف دماً . وان يظل ابناؤها هكذا حيارى يفترسهم الارهاب وتتقاذفهم الهموم إلى نهاية العالم .

وضع امل دنقل هذا المقطع الصغير افتتاحية لديوانه الأول (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) ولاختيار هذا المقطع وللحرص على أن يتصدر فاتحة الديوان (البداية) لذلك كله مغزى خطير يلخص بمرارة خيبة الأمل والشعور بالعجز ازاء مختلف اشكال الاحباط في الواقع العربي المعاصر .

وصورة هذا الجدار الذي ينهض في وجه الشروق الخاص وفي وجه الشروق العام ليسد النور ويميع كل ومضة امل . . صورة هذا الجدار تعكس منذ البداية الشعور البائس المحبط ، ولكنها في الوقت ذاته تكشف عن استعداد شعاع وجريء لمواجهة هذا الجدار ومحاولة التغلب عليه ، وكأني بالشاعر في بداية حياته يشعر بوعورة الطريق واتساع المسافة لكن تفلؤل الشباب جعله وهو يقترب من الجدار يشعر بالزهو لأن الجدار يعطي لحياته قيمة ويعطيها معنى ، فأى معنى لحياة لا معاناة فيها ولا مكابدة ، حتى

أخيراً أي شعور حزين يعت
بالكلمات شاعراً عظيماً عاش
وللوطن . وأي احساس فاجع ؛
نكتب بالكلمات كل يوم سوى رثا
ابناء هذا الوطن ولأروع ما
ونقاء

الدكتور عبا

مقتل القمر

الامضاء

إلى الاسكندرية
سنوات الصبا !

أحسُّ حِبالَ عينيك
بشيءٍ داخلي يبكي
أحسُّ خطيئةَ الماضي تعرَّت بين كفيك
وعنقوداً من التفاح في عيني خضراوين
ألنسى رحلة الآثام في عيني فردوسين ؟
وحتى أين ؟
تعذبني خطيئاتي .. بعيداً عن مواعيدك
وتحرقني اشتهاؤاتي قريباً من عناك !
وفي صدري
صبي أحمر الأظفار والماضي
يخطط في تراب الروح ،
في أنقاض أنقاض !
وأنظر نحو عينيك

فترعشني طهارة حب
وتفرقني اختلاجة هذب
والمح — من خلال الموج — وجه الرب
يؤنيني

على نيران أنفاسي يقلبني
وأطرق ...

والصراع المر في جوفى يعذبني !!
... ..

أحرق في خضور الصيف في شفتيك :

يموى داخلى الحرمان
(لهيب آدمى الشوق ، مصباحان يرتعشان)
وأهرب نحو عينيك :

يطالعني الندى والله والغفران !
وأسقط بين نهديك
لتحترق الروءى

وأغرق فيهما بالنار والشك
فمشوى رغبتي شيا
وأغمض عنك عينيا

وأسند رأسي الملفوح في صدرك
فقد تترمد الأفكار في جهرك
وأحرق جنة المأوى
... ..

فيا ذات العيون الخضر
دعى عينيك مغمضتين فوق السر
.. لأصبح حر !!

طفلتها

(.. مرت خمس سنوات على الوداع وفجأة .. رأى طفلتها !)

لأنفري من يدي محتبته
.. خبت النار بجوف المدفأة !
أنا ..

(لوتدرين)

من كنت له طفله

لولا زمان فجأه

كان في كفى ما ضيعته

في وعود الكلمات المرجأه

كان في جنبي

لم أدر به !

.. أو يدري البحر قدر اللؤلؤة ؟

تأ عمرك عمر ضائع من شباني

في الدروب المخططة

كلما قرت بعام

حسرت مهجتي عاماً

.. وأبقت صدأه

ثم لم تحمل من الماضي

سوى ذكريات في الأسى مهترته

تعزى بالدجي

إلى الدجي للذي ضل منه ..

نكه !!

• • •

العيون الواسعات الهادئة

والشفاه الحلوة الممتلئة :

قصة طفليته

تذكرها

وهي عن سبعة عشر منبئة
إنني أعرفها

فاقتربني

فكلانا في طريق أخطأه

ساقني حمقى

وفي حلقي مرارة شوق

وأمان صدئه

فابسمي ياطفلتي

(منذ مضت ... وابتسامات الضحى منطفئة)

ثرثرى

(صوتك موسيقى حكمت صوتها ذا النبرات المدفئة)

— « إحلّ لي أحجية »

— لم يبق في جمعيتي

غير الحكايا السيئة

فاسمعي يا ابنتي مسرعة

عبرت فيها الليالي .. مبطئة

.....

« كان يا ما كان »

الله كان قتي

لم يكن يملك إلا .. مبدؤه

وحدة ذات ثغر يشتبهى قبلة الشمس

أوروى ظمأه

خضق الحب بها ؛ فاستسلمت

وسرى الحب به ؛ فاستمرأه

يما قد صعدت مركبه

الضحى

في قصة مبتدئة

وهو في شرفته مرتقب

وهي في شباكها .. متكئة

تعمّ منقسم

لا ينتهي حلم

إلا وحلم بدؤه

صعدا

سلمة ..

سلمة ..

في قصور الأمنيات المنشأة
لم تكن تملك إلا طهرها
لم يكن يملك إلا مبدأه

• • •

ذات يوم
كان أن شاهدها
من له أن يشتري نصف امرأة
حينما أوما لها مبتسماً
فأشاحت عنه
كالمستهزئة
اشتراها في الدجي
صاغرة
زفت السبعة عشر .. للمئة
لم يكن شاعرها فارسها
لم يكن يملك إلا ..
التهينة

لم يكن يملك إلا مبدأه
ليس إلا ..
كلمات مطفأة

• • •

أترى تدرين من كان الفتى ؟
فهو يدري الآن
يدري خطأه !
والتي بيعت وفي معصمها الوشم
فاعتاد الفؤاد الطأطأة ؟!
ومن النحاس ؟
هل تدرينه ؟
وهو ملاح تناسى مرفأه
اننى أكرهه
يكبره ضوء مصباح نبيل أطفأه
غير أن الحقد ..
(يا طفلة)

وأنت يا حبيبي
طير على سفر

• • •

ويرحل المطر
ويذبل الشجر
ويغمر الغبار النقوش والصور
... ..

وتهبط الأحزان
فتمحي الألوان
والقلب
والخطوط العرجاء
والأسمان
وينخر السوس القديم في العيدان
وترحل الطيور الزرق
بلا عنوان
تسأل عن هوانا
تسأل عما كان

.. ماكان يا حبيبي
حلم ؛ وقد عبر !

• • •

وينزل المطر
ويرحل المطر
وينزل المطر
ويرحل المطر
والقلب يا حبيبي
مازال ينتظر

قلبي .. والعيون الخضر

- ١ -

صبياً كان

شددت على يديه القوس

أعلمه الرماية

(كى يفوق بقية الأقران)

« فلما اشتدَّ ساعده .. »

.....

ثلاث سنين

أبارز قلبي المفتون

يجمع بيننا ليل ، ويفصلنا نهار قتال

تطل على — خلف لثامه — عينان خضراوان

(كأوردية تلون بطن ركبة عانس عجفاء)

وقبلا .. كانتا في وجه قديسة !

• • •

ثلاث سنين

ينازلنى ، أنازله

لثا ساخن ، وغبار

يرف على الفم المزموم ،

ثم يرين فوق العشب والأسوار

وكان الفخ قرب الباب

سقطت ملوث الرتين والأثواب

أشاحت عنى العينان

وكنت تراب

وكان يدير لى كتفيه فى استهزاء

.. وتعرف أنت

ماذا يفعل المغلوب مثلى

حين يوليه العدو الظهر ؟

وفى كفى بقايا سهم

.....

• • •

وطفلاً كنت ، كالأطفال

ومركبة من الكلمات تحملنى لعرش الشمس

وقلدنى الهوى سيفه :

« إلى ذات العيون الخضر »

وكوكبة من الربات مصطفة

« إلى ذات العيون الخضر »

وقريتنا — وراء العين — توراة من الصمت

وثرثرة من الغدران

وصوت الطبل

يدق لينزع القمر القديم نفاه المعتل

وطفل شاحب ينهض

تزغرد نسوة لختانه المدسوس في جلبابه الأبيض

وفوق الجسر

غلام لاهث يعدو

ليمسك مهرة فرت وفي سيفانها يتعلق القيد

... ..

ومركبتى تشد الأفق مخروطية الدرب

« إلى ذات العيون الخضر »

تلال السحب تهرب من ورائى كومة .. كومة

وأنسام تضم عباءتى بأنامل الرحمة

ومن ضمه

إلى ضمه

تسمننا قلاع الحب والحكمة

ولكننا على الأبواب

أطل نتوء

(كأنف قد تورم فوق وجه العازف السكير)

على العجلات مد لسانه الموبوء

تهاوت فيه مركبتى

فعد بإصاحب الكلمات

كأسياخ الحديد توهجت في النار

تمر على عيونك أحرف الكلمات

« هوانا مات »

تهاوينا

بلغنا قمة القمة

لنهيض في انحدار الجانب الآخر

ومن عثره الى عثره

تلقانا تراب الأرض في راحاته البرّة

ودارت قهوة الموتى

رأيت يديك هذا اليوم

معطرتين ، ناعمتين

ولكننى رأيت على أظافرك الدم الملثم

وفي المجرى الذى ينساب في النهدين

مددت يدك قبيل النوم

عمرت على حطام الخنجر المسموم
والقفاز !!

يا وجهها

تلك أهوى أن نلتقى .. سهوا

كأنك أتقدك

يا وجهها الحلوا

كأن القى سميت : شدوا

من قبل ما أجدك ؛

أصحى على شفة الصبا .. لغوا

كأن لي كما أهوى

أنظر على الدفء والخلوى

ويحيى تبّ سمائك الشجوا

فمن مرتعدك

يا حيناً أعدك

الصفيف فيك يعانق الصحو
عينك ترخيان في أرجوحة
والثغر مرتعش بلا مأوى
وعذابه : سلوى
إن جئت أنفض عنده الشكوى

في الليل افتقدك
فتضيء لي قسماتك النشوى
تأقني خجول البوح مزهوا
وعلى ذراع الشوق استندك
وأحس في وجهي لظى الأنفاس
حين يلفني رغدك !
وأنام !

تحملني رؤاك لنجمة قصوى
نترفق الخطوا
نحكي ، فأرشف همسك الرخوا
ويهزني صحوى .. فافتقدك
لكن بلا جدوى
بلا جدوى !

يا رحيها الحلوا
أطرد قنقري مجدب السلوى
ما زلت لا أقوى
قد أقتل الخطوا
قد فكتي سندك

يا رحيها الحلوا
ما زلت أفتقدك
ما زلت أفتقدك

مقتل القمر !

.. وتناقلوا النبأ الأليم على بريد الشمس
في كل المدينة :

« قتل القمر » !

شهوده مصلوباً تدلى رأسه فوق الشجر !
نهب اللصوص قلادة الماس الثمينة
من صدره !

تركوه في الأعواد ،

كالأسطورة السوداء في عيني ضريب
ويقول جارى :

— « كان قديساً ، لماذا يقتلونه ؟ »

وتقول جارتنا الصبية :

— « كان يعجبه غنائى في المساء

وكان يهدينى قوارير العطور

فبأى ذنب يقتلونه ؟

هل شاهدوه عند نافذتى — قبيل الفجر — يصفى للغناء ؟

سكنت السمعات من كل العيون
كأنهم — أطفال القمر

مات .. مات !

من الأيدي التي غدرت به
لم يستع لي ،
مات !

سحبت حقيقه على عينيه ..

حتى لا يرى من فارقه !

يخرجت من باب المدينة

يا أبناء قريتنا أبوكم مات

قد قتله أبناء المدينة

خرفوا عليه دموع إخوة يوسف

وتحرقوا

قالوا : غريب

ظنه الناس القمر
قتلوه ، ثم بكوا عليه

ورددوا « قتل القمر »

لكن أبونا لا يموت

أبدأ أبونا لا يموت !

تركوه فوق شوارع الأسفلت والدم والضعيفة
يا اخوتي : هذا أبوك مات !

— ماذا ؟ لا .. أبونا لا يموت

بالأمس طول الليل كان هنا

يقص لنا حكايته الحزينة !

— يا اخوتي بيدي هاتين احتضنته

أسبلت جفنيه على عينيه حتى تدفنه !

قالوا : كفك ، اصمت

فانك لست تدري ما تقول

قلت : الحقيقة ما أقول

قالوا : انتظر

لم تبق إلا بضع ساعات ..

ويأتى !

• • •

حط المساء

وأطل من فوق القمر

متألق البسمات ، ماسى النظر

— يا اخوتي هذا أبوك ما يزال هنا

فمن هو ذلك الملقى على أرض المدينة ؟

شيء يحترق

شيء في قلبي يحترق
إذ يمضي الوقت .. فنفترق
ونمد الأيدي
يجمعها حب
وتفرقها .. طرق

• • •

.. ولأنت جوارى ضاحجة
وأنا بجوارك ، مرتفق
وحديثك يغزله مرح
والوجه .. حديث متسق
ترخين جفونا
أغرقها سحر
فطفا فيها الفرق
وشبابك حان جبلي
أرز ، وغدير ينبثق

وبسبب دهمي وحدي
مصطبوح منه ومغتبق
وتغوص بقلبي نشوته
تدفعني فيك .. فتلتصق
وأمد يدين معريدتين
فتوبك في كفي ..
مزق
وذراعك يلتف
ونهر من أقصى الغابة يندفق
وأضملك
شفة في شفة
فيغيب الكون ، وينطبق
.....
وتموت النار
تفرقها
بجفون حار بها الأرق
خجلى !
وشفاهاك ذائبة
وشارك نشوى تندلق

ونعود نثرثر

كبحيرات هادئة

غطاها الورق

وعبر الوقت فلا ندرى

ويقيم محافله الشفق

وتدق الساعة معلنة

فيهب بنا صحو قلق

ويحين وداع

وقتي

وأراه كحلم ينسحق

يرتد الصمت لموضعه

ويعود إلى الأدن الحلق

ونمد الأيدي

راغمة

ننشاكي العتب

وتنزلق !

وأحس بشيء في صدري

شيء .. كالفحة

يحترق !

قالت

قالت : تعال إليّ

واصعد ذلك الدرج الصغير

قلت : القيود تشدني

والخطو مضني لا يسير

مهما بلغت فلست أبلغ ما بلغت

وقد أخور

درج صغير

غير أن طريقه .. بلا مصير

فدعي مكاني للأسى

وامضي الى غدك الأمير

فالعمر أقصر من طموحي

والأسى قتل الغدا

• • •

قالت : سأنزل

قلت : يا معبودي لا تنزلي لي

قالت : سأنزل

قلت : خطوطك منه في المستحيل

ما نحن ملتقيان

رغم توحد الأمل النبيل

... ..

نزلت تدق على السكون

رنين ناقوس ثقيل

وعيوننا متشابكات في أسى الماضي الطويل

تخطو إلى

وخطوها ما ضلّ يوماً عن سبيل

وبكى العناق

ولم أجد إلا الصدى

إلا الصدى

ماريا

ماريا ؛ يا ساقية المشرب

الليلة عيد

لكننا نخفى جمرات التنهيد !

صسى النشوة نخباً .. نخباً

صسى حبا

قد جئنا الليلة من أجلك

لسرع العمر المتشرد خلف شعاع الغيب المهلك

في ظل الأهداب الإغريقية !

ما أحلى استرخاءة حزن في ظلك

في ظل الهدب الأسود

.....

— ماذا يا ماريا ؟

— الناس هنا كالناس هنالك في اليونان

بسطاء العيشة ، محبوبون

— لا يا ماريا

اناس هنا — في المدن الكبرى — ساعات

! تتخلف

! تتوقف

! تتصرف

آلات ، آلات ، آلات

كفى يا ماريًا

نحن نريد حديثاً نرشف منه النسيان !

.....

ماذا يا سيّدة البهجة ؟

العام القادم في بيتي زوجة ؟!

قد ضاعت يا ماريًا من كنت أود

ماتت في حضن آخر

لكن ما فائدة الذكرى

ما جدوى الحزن المقعد

نحن جميعاً نحجب ضوء الشمس ونهرب

كفى يا ماريًا

نحن نريد حديثاً نرشف منه النسيان

.....

قولى يا ماريًا

أوما كنت زماناً طفلة

يلقى الشعر على جبهتها ظله

من أول رجل دخل الحبه واستلقى فوق الشطآن

علقت في جبهته من ليلك خصلة

فضّ الثغر بأول قبلة

أوما غنيت لأول حبّ

غنينا يا ماريًا

أغنية من سنوات الحب العذب

.....

.....

.....

ما أحلى النغمة

لتكاد تترجم معناها كلمة .. كلمة

غنينا ثانية .. غنى

(أوف .

لا تتجهم

ما دمت جوارى ، فلتتبسم

بين يديك وجودى كنز الحب

عيناي الليل .. ووجهى النور

شفتاي نبیذ معصور
صدری جنتک الموعودة
وذراعی و ساد الرب
فتبسم للحب ، تبسم
لا تنجهم
لا تنجهم (

.....
ما دُمت جوارک یا ماریا لن أتجهم
حتى لو كنت الآن شاباً كان
فأنا مثلك كنت صغيراً
أرفع عيني نحو الشمس كثيراً
لكنني منذ هجرت بلادی
والأشواق
تمضغني ، وعرفتُ الأطراق
مثلك منذ هجرت بلادك
وأنا أشتاق
أن أرجع يوماً ما للشمس
أن يورق في جدي فیضان الأمل
.....

قولي يا ماریا
العام القادم يبصر كل منا أهله
کی أرجع طفلاً .. وتعودی طفلة
لكننا الليلة محرومون
صبي أشجانك نجباً .. نجباً
صبي حبا
فأنا ورفاقی
قد جئنا الليلة من أجلك !

استريحي

استريحي

ليس للدور بقية

انتهت كل فصول المسرحية

فامسحي زيف المساحيق

ولا ترتدى تلك المسوح المريمية

واكشفي البسمة عما تحتها

من حنين .. واشتهاء .. وخطيه

كنت يوماً فتنة قدستها

كنت يوماً

ظماً القلب .. وريه

° ° °

لم تكوني أبداً لي

إنما كنت للحب الذي من ستين

قطف التفاحتين الحلوتين

ثم ألقى

يبقايا القشرتين

وبكى قلبك حزناً

فقدنا دمعاً حمراء

بين الرئتين

وأنا ؟ قلبي مندبل هوى

جففت عيناك فيه دمعتين

ومحت فيه طلاء الشفتين

ولوته ..

في ارتعاشات اليدين

كان ماضيك جداراً فاصلاً بيننا

كان ضلالاً شبحية

فاستريحي

ليس للدور بقية

أيها نحن جلسنا

ارتسمت صورة الآخر في الركن القصي

كنت تحشين من اللمسة

أن تمحى لمسته في راحتي

وأحاديثك في الهمس معي

إنما كانت إليه ..

لا إلى

فاستريحى الآن

لم يبق سوى حيرة السير على المفترق

كيف أقصيك عن النار

وفى صدرك الرغبة أن تحترق ؟

كيف أدنيك من النهر

وفى قلبك الخوف وذكرى الغرق ؟

أنا أحبيتك حقاً

إنما لبست أدرى

أنا .. أم أنت الضحية ؟

فاستريحى ، ليس للدور بقية

العار الذى نثقيه

هذا الذى يجادلون فيه

قولى لهم من أمه ، ومن أبوه

أنا وأنت ..

حين أنجينا ألقيناه فوق قمم الجبال كى يموت !

لكنه ما مات

عاد إلينا عنفوان ذكريات

لم نجترى أن نرفع العيون نحوه

لم نجترى أن نرفع العيون

نحو عارنا المبيت

• • •

ها طفلنا أمامنا غريب

ترشقه العيون والظنون بازدرائها

ونحن لا نجيب

(وربما لو لم يكن من دمناء

كنا مددنا نحوه اليدا

لكنه .. ما زال يقطع الدروب

يقطع الدروب

وفي عيوننا الأسى المريب

• • •

« أوديب » عاد باحثاً عن اللذين ألقياه للردى

نحن اللذان ألقياه للردى

وهذه المرة لن نضيعه

ولن نتركه يتوه

ناديه

قولى انك أمه التى ضنت عليه بالدفع

وبالبسمة والحليب

قولى له أنى أبوه

(هل يقتلنى ؟) أنا أبوه

ما عاد عاراً نثقيه

العار : أن نموت دون ضمة

من طفلنا الحبيب

من طفلنا « أوديب »

رسالة من الشمال

بعمري — من الشوك — مخشوشين

بغرق من الصيف لم يسكني

بتجويف حب ، به كاهن

له زمن .. صامت الأرغن :

أعيش هنا

لا هنا ، إننى

جهلٌ بكينونتى مسكنى

غدى : عالم ضل عنى الطريق

مسالكه للسدى تنحنى

علاماته .. كاثيال الوضوء

على دنس منتن .. منتن

تفح السواسن سم العطور

فأكفر بالعطر والسوسن

وأفصد وهمى .. لأمتصه

قيمتصنى الوهم ، يمتصنى ..

• • •

ملاكى : أنا فى شمال الشمال
أعيش .. ككأسى بلا مدمن
ترد الذباب انتظاراً ، وتحسو
جهود موائدها الخون
غريب الخطايا ، بقايا الحكايا
من الليل لليل تستلنى
أرشد ابتسامتى على كل وجه
توسد فى دهنه اللين
ويخرجنى الضوء فى كل ليل
مرير الخطى ، صامت ، محزن
سريت به — كالشعاع الضئيل —
الى حيث لا عابر ينشئ
هى اسكندرية بعد المساء
شثائية القلب والمخض
شوارعها خاويات المدى
سوى : حارسى فى لا يعتنى
ودورة كلين كى ينسلا
ورائحة الشبق المزمّن
ملاكى .. ملاكى .. تساءل عنك

اغتراب التفرد فى مسكنى
سفحت لك اللحن عبر المدى
طريقاً إلى المبتدأ ردى
وعينك : فيروزتان تضيقان
فى خاتم الله .. كالأعين
نمدان لى فى المغيب الجناح
مدى ، خلف خلف المدى الممعن
سألتها فى صلاة الغروب
عن الحب ، والموت ، والممكن
ولم تذكر لى سوى خلجة
من الهدب قلت لها : هيمنى !
هواى له الشمس تنبده
إلى اليوم بالموت لم تؤمن
وكانت لنا خلوة ، إن غدا
لها الخوف أصبح فى مأمن
مقاعد ما تزال النجوم
تحجج إلى صمتها المؤمن
حكينا لها ، وقرأنا بها
بصوت على الغيب مستأذن

دنوا ، دنوا ففى جعبتى

حكايات حب سنى ، سنى

صقلت به الشمس حتى غدت

مرايا مساء لتزيتنى

وصفت لك النجم عقداً من

الماس شع على صدرك المفتى

أردتك قبل وجود الوجود

وجوداً لتخليده لم أن

تغربت عنك ، لحيت الحياة

مناجم حلم بلا معدن

ودورة كلبين كى ينسلا

ورائحة الشبق المزمز

• • •

ملاكى : ترى ما يزال الجنوب

مشارق للصيف لم تعلن

ضممت لصدري تصاورنا

تصاور تبكى على المفتى

سأتى إليك أجر المسير

خطى فى تصلها المذعن

سأتى إليك كسيف تحطم

فى كف فارسه المثخن

سأتى إليك نخيلاً .. نخيلاً

كخيطة من الحزن لم يحزن

• • •

أنا قادم من شمال الشمال

لعينين — فى موطنى — موطنى !

أوتوجراف

لن أكتب حرفاً فيه
فالكلمة — إن تكتب — لا تكتب
من أجل الترفيه

(والأوتوجراف الصامت تهذل الكلمات عليه ،
تحبيه

وتطرز كل مثانيه !

ماضيك

— وماضى الأوتوجراف —

بقايا شوق مشبوه

بصمات الذكرى فيك ، وفيه

وخطى العشاق المحمومة أدمت كل دواليه

لكنى أطرده كل ذباب الماضي عن بائى

قدعيه

غيرى قد يصبح سطرأً من ورق

يقبله من يجله أو من يدره

غيرى قد ينبش تابوتاً براق اللون

تعفن خافيه

لكنى أطرده كل ذباب الذكرى

عن غدى المشدوه

عن ثوى ، وطعاسى ، وفراشى

عن خطوة تبهى

.....

يا أصغر من كلماتى

لن أكتب فيه

فخطى العشاق المحمومة أدمت كل دواليه !

شبيبتها

انتظري !

ما اسمك ؟

يا ذات العيون الخضر والشعر الثرى
أشبهت في تصوري

(بوجهك المدور)

حبيبة أذكرها .. أكثر من تذكرى

يا صورة لها على المرأة ، لم تنكس

حبيبتى — مثلك —

لم تشبه جميع البشر

عيونها حقائق حافلة بالصور

أبصرتها اليوم بعينيك

اللتين صبتا في عُمري ..

طفولة .. منذ اتران الخطو لم تنحسر

• • •

يا ظل صيف أخضر

تصورى

كم أشهر وأشهر

مرت ولسنا نلتقى

مرت .. ولم نغضو ضري

الماس في مناجى

مشوه التلويز

والذكريات في دمي

عاصفة التحرر

كرقصة نارية من فتيات العجري

.....

لكننى حين رأيت الآن صورة لها

في مهجرى

أيقنت أن ماسنا ما زال

حتى الجواهر

وأنا سنلتقى ..

رغم رياح القدر

وأنى في فمك المستضحك المستبشر

أغنية للقمر

أغنية ترقص فيها القرويات

• • •

يا ظل صيف أخضر

تصوري

كم أشهر وأشهر

مغترباً عن العيون الأخضر والشعر الثرى

العينان الخضراوان

العينان الخضراوان

مروحتان

في أروقة الصيف الحران

أغنيتان مسافرتان

أبحرتا من نايات الرعيان

بعبير حنان

بعزاء من آهة النور إلى مدن الأحزان

سنتان

وأنا أبني زورق حب

يمتد عليه من الشوق شراعان

كفى أبحر في العينين الصافيتين

إلى جزر المرجان

ما أحلى أن يضطرب الموج فينسدل الجفنان

وأنا أبحث عن مجداف

عن إيمان !

• • •

Petit Terianor

(الملهى الصغير)

لم يعد يذكرنا حتى المكان !
كيف هنا عنده ؟
والأمس هان ؟
قد دخلنا ..
لم تُشر مائدةً نحونا !
لم يستصفنا المقعدان !!
الجلسان غريبان
فما بيننا إلا . ظلال الشمعدان !
أنظري ؛
قهوتنا باردة
ويدانا — حولها — ترتعشان
وجهك الغارق فى أصباغه
وجهى الغارق فى سحب الدخان
رُسمًا

فى صمت « الكاتدرائيات » الوسنان
صور « للعذراء » المسبلة الأجفان
يا من أرضعت الحب صلاة الغفران
وتغطى فى عينيك المسبلتين
شبابُ الحرمان
رُدَى جفنيك
لأبصر فى عينيك الألوان
أهما خضراوان
كعيون حبيبي ؟
كعيون يسبح فيها البحر بلا شطآن
يسأل عن حبّ
عن ذكرى
عن نسيان !
قلبي حران ، حران
والعينان الخضراوان
مروحتان !

(ما ابتسما !)

في لوحة خانت الرسام فيها ..
لمستان !!

تُسدل الأستار في المسرح
فلنضيء الأنوار

إن الوقت حان

أمن الحكمة أن نبقي ؟
سدى !!

قد خسرنا فرسينا في الرهان !

قد خسرنا فرسينا في الرهان

مالنا شوط مع الأحلام

ثان !!

نحن كنا ها هنا يوماً

وكان

وهج النور علينا مهرجان

يوم أن كنا صغاراً

نمتطى صهوة الموج

إلى شط الأمان

كنتُ طفلاً لا يعنى معنى الهوى

وأحاسيسك مرخاة العنان

قطعة مغمضة العينين

في دمك البكر لبيب الفوران

عامنا السادس عشر :

رغبة في الشرايين

وأعواد لدان

هاهنا كل صباح نلتقى

بيننا مائدة

تندى .. حنان

قدمانا تحتها تعتنقان

ويدانا فوقها تشبكان

إن تكلمت :

ترئمت بما همسته الشفتان الحلوتان

وإذا ما قلتُ :

أصغت طلعة حلوة

وابتسمت غمازتان !

أكتب الشعر لنجواك

(وإن كان شعراً يغيثي البيان)

كان جمهوري عيناك !

إذا قلته : صفقتا تبسمان

ولكن ينصحن الأهل

فلا نصحهم عزّ

ولا الموعد هان

لم نكن نخشى إذا ما نلتقى

غير ألا نلتقى في كل آن

ليس ينهائى تأنيب أئى

ليس تنهك عصا من خيزران !!

الجنون البكر ولئى

وانتهت سنة من عمرنا

أو .. سنتان

وكما يهدأ عنف النهر

إن قارب البحر

وقاراً .. واتزان

هدأ العاصف فى أعماقنا

حين أفرغنا من الخمر الدنان

قد بلغنا قمة القمة

هل بعدها إلا .. هبوط العنفوان

اثرقنا ..

(دون أن نغضب)

لا يغضب الحكمة صوت الهذيان

ما الذى جاء بنا الآن ؟

سوى لحظة الجبن من العمر الجبان

لحظة الطفل الذى فى دمناء

لم يزل يحبو ..

ويكبو ..

فيعان !

لحظة فيها تنهيد الصبا

والصبا عهد إذا عاهد : خان

أمن الحكمة أن نبقى ؟

سدى

قد خسرنا فرسينا فى الرهان

• • •

قبلنا يا أخت فى هذا المكان

كم تناجى ، وتنأى عاشقان

ذهبا

ثم ذهبناء

وغداً ..

يتساقى الحب فيه آخران !
فلندعه لهما
ساقية ..

دار فيها الماء
مادار الزمان !!

الملك، بن يزي زرقاء، السجاسة

دياجة

آه .. ما أقسى الجدار

عندما ينهض في وجه الشروق .

ربما تنفق كل العمر .. كي تنقب ثغره

ليمر النور للأجيال .. مره !

... ..

ربما لو لم يكن هذا الجدار ..

ما عرفنا قيمة الضوء الطليق !!

بكائية ليل

إلى « مازن جودت أبو غزالة »
عرفته في سنوات السؤل .
رحل مع « العاصفة » .

للوهلة الأولى

قرأت في عينيه يومه الذى يموت فيه .
رأيت في صحراء « النقب » مقتولا ..
منكفئاً .. يغرز فيها شفتيه ،
وهى لا تردُّ قبلةً .. لفيه !
نتوه في القاهرة العجوز ، نسى الزمنا
نفلت من ضجيج سياراتها ، وأغنيات المتسولين
تظننا محطة المترو مع المساء .. متعيين .
وكان يبكى وطننا .. وكنت أبكى وطننا
نيكى إلى أن تنضب الأشعار
نسألها : أين خطوط النار ؟
وهل تُرى الرصاصة الأولى هناك .. أم هنا ؟
• • •

والآن .. ها أنا

أظل طول الليل لا يذوق جفنى وسنا
أنظر في ساعتى الملقاة في جوارى
حتى تحيى . عابراً من نقط التفتيش والحصار
تتسع الدائرة الحمراء في قميصك الأبيض ، تبكى شج
من بعد أن تكسرت في « النقب » رايتك !
تسألنى : « أين رصاصتك ؟ »
« أين رصاصتك »
ثم تغيب : طائراً .. جريحاً
تضرب أفقك الفسيح
تسقط في ظلال الضفة الأخرى ، وترجو كفنا !
وحين يأتي الصبح — فى المذيع — بالبشائر
أزيع عن نافذتى الستائر ،
فلا أراك .. !
أسقط فى عارى . بلا حراك
اسأل إن كانت هنا الرصاصة الأولى ؟
أم أنها هناك ؟ ؟

كلمات سبارتكوس الأخيرة

(مزج أول) :

المجد للشيطان .. معبود الرياح

من قال « لا » في وجه من قالوا « نَعَمْ »

من عَلَّمَ الإنسانَ تمزيقَ العدم

من قال « لا » .. فلم يَمُتْ ؛

وظل رُوحاً أبديّة الألم !

(مزج ثان) :

مُعَلِّقُ أنا على مشائق الصباح

وجيبي — بالموت — مخيئة

لأننى لم أُنْجِها .. حَيَّة !

...

يا اخواتي الذين يعبرون في الميدان مطرقيْن

منحدرين في نهاية المساء

في شارع الاسكندر الأكبر :

لا تَحْجَلُوا .. ولترفعوا عيونكم إلى

لأنكم معلقون جانبي .. على مشائق القيصر ..

فلترفعوا عيونكم إلى

لربما .. إذا التقت عيونكم بالموت في عَيْني :

يبتسم الفناء داخلي .. لأنكم رفعتم رأسكم .. مرّة !

« سيزيف » لم تعد على أكتافه الصخرة

يحملها الذين يولدون في مخادع الرقيق .

والبحر .. كالصحراء .. لا يروى العطش

لأن من يقول « لا » لا يرتوى إلا من الدموغ !

.. فلترفعوا عيونكم للثائر المشنوق

فسوف تنتهون مثله .. غدا .

وقبلوا زوجاتكم .. هنا .. على قارعة الطريق

فسوف تنتهون ها هنا .. غدا .

فالانحناء مر ..

والعنكبوت فوق أعناق الرجال ينسج الردى

فقبلوا زوجاتكم .. إنى تركت زوجتى بلا وداع

وإن رأيتم طفلي الذي تركته على ذراعها بلا ذراع
فعلّموه الانحناء !
علموه الانحناء !

الله . لم يغفر خطيئة الشيطان حين قال لا !
والودعاء الطيبون ..

هم الذين يرثون الأرض في نهاية المدى
لأنهم .. لا يشنقون !
فعلّموه الانحناء .

وليس ثم من مفر .
لا تحلموا بعالم سعيد

فخلف كل قيصر يموت : قيصر جديد !

وخلف كل ناثر يموت : أحزان بلا جدوى ..

ودمعة سدى !

(مزج ثالث) :

ياقيصر العظيم : قد أخطأت .. إني أعترف

دعني — على مشنقتي — ألتئم يدك

ها أنذا أقبل الحبل الذي في عنقي يلتف

فهو يدك ، وهو مجذك الذي يجبرنا أن نعبدك
دعني أكفر عن خطيئتي

أمنحك — بعد ميتتي — جمجمتي
تصوغ منها لك كأساً لشرابك القوي
.. فان فعلت ما أريد :

إن يسألك مرة عن دمي الشهيد
وهل تُرى منحتني « الوجود » كي تسلبني « الوجود »
فقل لهم : قد مات .. غير حاقِد عليّ
وهذه الكأس — التي كانت عظامها جمجمته —
وثيقة الغفران لي .

ياقاتلي : إني صفحت عنك ..

في اللحظة التي استرحت بعدها مني :

استرحت منك !

لكنني .. أوصيك إن تشأ شق الجميع

أن ترحم الشجر !

لا تقطع الجذوع كي تنصبها مشانقا

لا تقطع الجذوع

فرما يأتي الربيع

« والعالمُ عامُ جوع »

فلن تشم في الفروع .. نكهة الثمر !

وربما يمرُّ في بلادنا الصيفُ الخطيرُ

فتقطع الصحراء . باحثاً عن الظلال

فلا ترى سوى الهجير والرمال والهجير والرمال

والظمأُ التاريُّ في الضلوع !

ياسيد الشواهد البيضاء في الدجى ..

ياقيصر الصقيع !

(مزج رابع) :

ياأخوتي الذين يعبرزن في الميدان في انحناء

منحدرين في نهاية المساء

لا تحلموا بعالم سعيد ..

فخلف كل قيصر يموت : قيصرٌ جديد .

وإن رأيتم في الطريق « هانيبال »

فأخبروه أنني انتظرته. مدني على أبواب « روما » المجهدة

وأنظرتُ شيوخ روما — تحت قوس النصر — قاهر الأبطال

ونسوة الرومان بين الزينة المعريدة

ظللن ينتظرن مقدم الجنود ..

ذوى الرؤوس الأطلسية المجددة

لكن « هانيبال » ما جاءت جنوده المجددة

فأخبروه أنني انتظرته .. انتظرته ..

لكنه لم يأت !

وأنني انتظرته .. حتى انتهت في جبال الموت

وفي المدى : « قرطاجة » بالنار تحترق

« قرطاجة » كانت ضمير الشمس : قد تعلّمت معنى الركوع

والعنكبوت فوق أعناق الرجال

والكلمات تختنق

يا أخوتي : قرطاجة العذراء تحترق

فقبلوا زوجاتكم ،

إني تركت زوجتي بلا وداع

وإن رأيتم طفلي الذي تركته على ذراعها .. بلا ذراع

فعلّموه الانحناء ..

علّموه الانحناء ..
علّموه الانحناء ..

(نبريل ١٩٦٢)

الأرض .. والجرح الذى لا يفتح

الأرض مازالت ، بأذنيها دمّ من قرطها المنزوع ،
قهقهة اللصوص تسوق هودجها .. وتركها بلا زائد ،
تشدّ أصابع العطش المميت على الرمال ،
تضيع صرختها بمحمة الخيول .
الأرض ملقاة على الصحراء .. ظامئة ،
وتلقى الدلو مرات .. وتخرجه بلا ماء !
وتزحف فى هيب القبط ..
تسأل عن غلوبة نهرها ..
والنهر سمّ المغول
وعيونها تخبو من الاعياء ، تستسقى جلور الشوك ،
تنتظر المصير المر .. يطحنها الذبول
• • •
من أنت يا حارس ؟

إلى أنا الحجاج ..

عصّيتي بالتاج ..

تشرّبها القارس !

الأرض تُطوى في بساط « النفط » ،

تحملها السفائن نحو « قيصر » كي تكون إذا تفتّحت
اللقائف :

رقصة .. وهديّة للنار في أرض الخطاة .

دينارها القصدير مصهور على وجنتها .

زئارها المحلول يسأل عن زناة الترك ،

والسيّاف يجلبدها ! وماذا ؟ بعد أن فقدت بكارتها ..

وصارت حاملاً في عامها الألفى من ألفين من عشاقها !

لا النيل يغسل عارها القاسي .. ولا ماء الفرات !

حتى لزوجة نهرها الدموى ،

والأموى يقعى في طريق النبع :

« .. دون الماء رأسك يا حسين .. »

وبعدها يتملكون ، يضاجعون أرامل الشهداء ،

ولا يتورعون ، يؤذنون الفجر .. لم يتطهروا من رجسهم ،
فالحق مات !

• • •

هل ثبتّ الثقفى

قناعه المهزوز ؟

فقد مضى تموز ..

بوجهه العربى !

• • •

أحببت فيك المجد والشعراء ..

لكنّ الذى سرواله من عنكبوت الوهم :

يمشى في مدائنك المليئة بالذباب

يسقى القلوب عصارة الخدر المنمّق ،

والطواويس التى نزعت تقاويم الحوائط ،

أوقفت ساعاتها ،

وتجشأت بموائد السفراء ..

تنتظر النياشين التى يسخو بها السلطان ..

فوق أكابر الأغواث منهم !

باسماء :

أكل عام : نجمة عربية تهوى ..

وتدخل نجمة برج البرامك ! ؟

ما تزال مواعظُ الحصيان باسم الجالسِين على الحراب ؟
وأراك .. و « ابن حلول » بين المؤمنين بوجهه القُرْحَى ..

يسرى بالوقعة فيلك ،

والأنصارُ واجمة ..

وكل قریش واجمة ..

فمن يهديه للرأى الصواب ؟ !

ملثماً يخطو ..

قد شوّهته النار !

هل يُصلح العطار

ما أفسد النفط ؟

• • •

لم يبق من شيء يقال .

يا أرض :

هل يلدُ الرجال ؟

(مايو ١٩٦٦)

البكاء بين يدي زرقاء اليمامة

أيتها العرافة المقدسة ..

جئت إليك .. متخناً بالطعنات والدماء

أزحف في معاطف القتلى ، وفوق الجثث المكدسة

منكسر السيف ، مغبر الجبين والأعضاء .

أسأل يازرقاء ..

عن فمك الياقوت عن ، نبوءة العذراء

عن ساعدي المقطوع .. وهو ما يزال ممسكاً بالراية المنكسة

عن صور الأطفال في الخوذات .. ملقاة على الصحراء

عن جارئ الذي يهْمُ بارتشاف الماء ..

فيثقب الرصاصُ رأسه .. في لحظة الملامسة !

عن الفم المحشو بالرمال والدماء !!

أسأل يازرقاء ..

عن وقفتي العزلاء بين السيف .. والجدار !

عن صرخة المرأة بين السبي . والفراخ ؟

كيف حملت العار ..

ثم مشيتُ ؟ دون أن أقتل نفسي ؟ ! دون أن أنهار ؟ !

ودون أن يسقط لحمي .. من غبار التربة المدنسة ؟ !

تكلمى أيتها النبية المقدسة

تكلمى .. بالله .. باللعنة .. بالشيطان

لا تغمضى عينيك ، فالجرذان ..

تلعق من دمي حساءها .. ولا أردّها !

تكلمى ... لشدّ ما أنا مُهان

لا الليل يُخفى عورتي .. ولا الجدران !

ولا احتياي في الصحيفة التي أشدّها ..

ولا احتياي في سحائب الدخان !

.. تقفز حولي طفلة واسعة العينين .. عذبة المشاكسة

(— كان يُقصُّ عنك يا صغيرتي .. ونحن في الخنادق

فنفتح الأزرار في ستراتنا .. ونسند البنادق

وحين مات عطشاً في الصحراء المشمسة ..

رطب باسملك الشفاه اليابسة ..

وارتخت العينان !)

فأين أخفى وجهي المتهم المدان ؟

والضحكة الطروب : ضحكته ..

والوجه .. والغمازتان ؟ !

• • •

ايتها النبية المقدسة ..

لا تسكتي .. فقد سكّت سنة فسنة ..

لكي أنال فضلة الأمان

قيل لى « اخرسى .. »

فخرست .. وعميت .. واكتممت بالخصيان !

ظللّت في عبيد (عيسى) أحرس القطعان

أجتزّ صوفها ..

أردّ نوقها ..

أنام في حظائر النسيان

طعامي : الكسرة .. والماء .. وبعض التمرات اليابسة ..

وها أنا في ساعة الطعان

ساعة أن تخاذل الكمأة .. والرمأة .. والفرسان

دُعيت للميدان !

أنا الذى ما ذقتُ لحمَ الضأن ..

أنا الذى لا حولَ لى أو شأن ..

أنا الذى أقصيت عن مجالس الفتيان ،

أدعى الى الموت .. ولم أدع الى المجالسة !!

تكلمى أيتها النبىء المقدسة

تكلمى .. تكلمى ..

فها أنا على التراب سائل دمي

وهو ظمىء .. يظلب المزيدا .

أسائل الصمت الذى يخنقنى :

« ما للجمال مشيها وثيدا .. !؟ »

« أجنடلاً يحملن أم حديدا .. !؟ »

فمن ترى يصدقنى ؟

أسائل الرُكع والسجودا

أسائل القيودا :

« ما للجمال مشيها وثيدا .. !؟ »

« ما للجمال مشيها وثيدا .. !؟ »

• • •

أيتها العرافة المقدسة ..

ماذا تفيد الكلمات البائسة ؟

قلت لهم ما قلت عن قوافل الغبار ..

فاتهموا عينيك ، يازرقاء ، بالبوأر !

قلت لهم ما قلت عن مسيرة الأشجار ..

فاستضحكوا من وهلك الثرثار !

وحين فوجئوا بحدّ السيف : قايضوا بنا ..

واتمسوا النجاة والفرار !

ونحن جرحى القلب ،

جرحى الروح والقلم .

لم يبق إلا الموت ..

والخطأ ..

والدمار ..

وصيبة مشردون يعبرون آخر الأنهار

ونسوة يسقن فى سلامل الأسر ،

وفى ثياب العاز

مطاطقات الرأس .. لا يملكن إلا الصرخات التاعسة !

.....

ها أنت يازرقاء

وحيدة ... عمياء !

وماتزال اغنيات الحب .. والأضواء

والعربات الفارحات .. والأزياء !

فأين أخفى وجهي المشوها

كفى لا أعكر الصفاء .. الأبله .. المموها .

في أعين الرجال والنساء ؟!

وأنت يازرقاء ..

وحيدة .. عمياء !

وحيدة .. عمياء !

(١٣ - ٦ - ٦٧)

ايلول

(جوقة خلفية)

(صوت)

(١)

ها نحن يا ايلول

لم ندرك الطعنة

فحلت اللعنة

في جيلنا المخبول !

... ..

قد حلت اللعنة

في جيلنا المخبول

فنحن يا ايلول

لم ندرك الطعنة !

... ..

الرب الباكي في هذا العام

يطلع عنه في السجن قلنسوة الاعداد

تسقط من سترته الزرقاء .. الأرقام !

يشي في الأسواق : يبشر بنيوته الدموية

ليلة أن وقف على درجات القصر الحجرية

يقول لنا : ان سليمان الجالس منكفئا

فوق عصاه

قد مات ! ولكننا نحسبه يغفو حين نراه !!

أواه .

قال .. فكمنناه ، فقأنا عينيه الزاهلتي

وسرقنا من قدميه الخفين الذهبيين

وحشرناه في أروقة الأشباح المزدحمة

(صوت) :

ونسينا يا ايلول الكلمة

في سورية

كانت تنهاوى رايات أمية

فرفعناها علماً علماً .. ووقعنا في أسر الروم

لكننا في طابور الأسرى المهزوم

كنا ننتظر زباد بن أبيه

ليهود ، فينقذنا مما تنسرل فيه .

كنا نبصر وردتنا الصابحة الحمراء

تنمو في شرفة بيت في حلب الشهباء

وظلمنا ننتظر .. تطول الأظفار .. ويبيض

السالف

.. ذات صباح عاصف

كنا نشرب حين أتتنا الأنباء

.. فتعكر لون الماء !

(جوقة خلفية) :

فحلت اللعنة !

..
الأمراء الصم

ماتوا على المداخل

لم يبق إلا « الداخل »

يعبر نهر الدم !

... ..

لم يبق إلا « الداخل »

يعبر نهر الدم !

والأمراء الصم

ماتوا على المداخل

... ..

ماتوا على المداخل

لم يبق إلا « الداخل »

*** (٣)

لو زرت دمشق

لوقفت على أبواب « المزه » ولتابع

الطرق

ودلفت الى غرفات التعذيب ..

(صوت) :

ورأيتك تضحك يا أيلول وأنت على

الأخشاب تدق .

فلقد أبصرتك في آخر ليلة

مصلوباً تتأرجح في باب زويلة !

ولمست أصابع قدميك هنيهات ما بين

الدھشة والتكذيب

وحشوت جراحك بتراب الأرض المذبة

ولفقتك في الرايات المنكودة

وحملتك حتى وارتبك في مقبرة

الصمت .. وراء الشرق .

لكني أسمع صوتك في الليل ؛ تغنى

يا أيلول

..

في ضجة المذيع

يخف صوت الحق !

فمن يقول الصدق .

(جوقة خلفية) :

كفى زهف الأسماع ؟

... ..

من ذا يقول الصدق

كفى زهف الأسماع ؟

فضجة المذيع

تخفت صوت الحق !

... ..

يخفت صوت الحق

تجعل من تجويفات عظام الموق : قصبات
الأرغول
فيجىء غناؤك . ممزوجا بنحيب !

فمن يقول الصدق ؟

... ..

(صوت) :

نتنظر الريح

من كل ضريح

... ..

من كل ضريح

نتنظر الريح

... ..

(سبتمبر ١٩٦٧)

(الجوقة) :

هذا العام ..

أعطينا جرحانا آخر ما يملكه الصيف من
الأنسام

وبقينا في المهدي المختنق المبحوح .

لكننا من كل ضريح

نتنظر الريح !

... ..

(١)

عرفت هذه المدينة الدخانية .

مقهى فمقهى .. شارعاً فشارعاً

رأيت فيها (اليشمك) الأسود والبراقعا

وزرت أوكار البغاء واللصوصية !

على مقاعد المخطئة الحديدية ..

نمت على حقائبي في الليلة الأولى

(حين وجدت الفندق الليلي مأهولاً ؟)

وانقشع الضباب في الفجر .. فكشفت البيوت والمصانع

والسفن التي تسير في القناة ؛ كالأوز ..

والصائدين العائدين في الزوارق البخارية !

• • •

(رأيت عمال « السمد » يهبطون من قطار « المحجر » العتيق

يعتصمون بالمناديل الترابية

يدندنون بالمواعيل الحزينة الجنوبية

ويصبح الشلوع .. درباً .. فزقاقاً .. فمضيئ
فيدخلون في كهوف الشجن العميق
وفي بحار الوهم : يصطادون أسماك سليمان الخرافية !

• • •

عرفت هذه المدينة ؟

سكرت في حاناتها

جُرحت في مشاحناتها

صاحبت موسيقارها العجوز في (تواشيح) الغناء

رهنت فيها خاتمي .. لقاء وجبة العشاء

وابتعت من « هيلانة » السجائر المهرجة .

وفي « الكباشون » سبحت

واشتهيت أن أموت عند قوس البحر والسماء !

وسرت فوق الشعب الصخرية المدينة

ألقط منها الصدف الأزرق والقواقع .

وفي سكون الليل ؛ في طريق « بور توفيق »

بكيت حاجتي الى صديق

وفي أثر الشوق : كدت أن أصير .. ذذبذة !

(٢)

والآن ؛ وهي في ثياب الموت والفداء

تحصرها النيران .. وهي لا تلين

أذكر مجنسى اللاهي .. على مفاهي « الأريمين »

بين رجالها الذين ..

يقتسمون خبزها الدامي . وصمتها الحزين

ويفتح الرصاص — في صدورهم — طريقنا إلى البقاء .

ويسقط الأطفال في حاراتها

تقبض الأيدي على خيوط « طائراتها »

وترنخي — هامة — في بركة الدماء .

وتأكل الحرائق ..

بيوتها البيضاء والحدايق ..

ونحن ها هنا .. نعص في لجام الانتظار !

نصغي الى أنبائها .. ونحن نحشو فمنا ببيضة الافطار !

فتسقط الأيدي عن الأطباق والملاعق

أسقط من طوابق القاهرة الشواهد

أبصر في الشارع أوجه المهاجرين

أعانق الحنين في عيونهم .. والدكريات

أعانق المحنة والنبات .

... ..

هل تأكل الحرائق

بيوتها البيضاء والحدائق
بينما تظل هذه « القاهرة » الكبيرة
آمنة .. قريه ؟!

تضيء فيها الواجهات في الحوانيت ، وترقص النساء ..
على عظام الشهداء ؟!

يوميات كهل صغير السن

- ١ -

أعرف أن العالم في قلبي .. مات !
لكني حين يكفُ المذايح .. وتنغلق الحجرات :
أنبش قلبي ، أخرج هذا الجسد الشمعي
وأسجيه فوق سرير الآلام .
أفتح فمه ، أسقيه نبيذ الرغبة
فلعل شعاعاً ينبض في الأطراف الباردة الصلبة
لكن .. تنفتت بشرته في كفى
لا يتبقى منه .. سوى : جمجمة .. وعظام !

- ٢ -

تنزلقين من شعاع لشعاع
وأنت تمشين — تُطالعين — في تشابك الأغصان في الحدائق
حالة .. بالصيف في عُرفات شهر العسل القصير في الفنادق
ونزهة في النهر ..
واتكأة على شراع !

.. وفي المساء ، في ضجيج الرقص والتعانق

تنزلقين من ذراع لذرّاع !

تنتقلين في العيون ، في الدخان العصبي ، في سخونة الإيقاع

وفجأة .. ينسكب الشراب في تحطم الدوارق

ييل ثوبك الفرائشي .. من الأكام حتى الحاصرة !

وحين يَفْغَرُ المغنى فمه مرتبكا

تنفجرين ضحكا !

تشعلين ضحكا !

وتخلعين الثوب في تصاعدات النغم الصارخ .. والمطارق

وتخلعين خُفْكَ المشتبك

ثم ...

تواصلين رقصك المجنون .. فوق الشظيّات المتناثرة !!

- ٣ -

عينا القطرة تنكمشان ..

فيدق الجرسُ الخامسة صباحا !

أتحمس ذقني النابتة .. الطافحة بثوراً وجراحا

(.. اسمع خطو الجارة فوق السقف

دقّ الأعطية ، خيرُ الصنبور

حشخشة المذياع ، عدوية جسدي المبهور

(.. والخطو المتردد فوق ليس يكف .. !)

لكي في دقة بائعة الألبان :

تتوقف في فكي .. فرشاة الأسنان !

- ٤ -

في الشارع ..

أتلاقى - في ضوء الصبح - بظليّ الفارغ :

تنصافح .. بالأقدام !

- ٥ -

حييتي ، في الغرفة المجاورة

أسمع وقع خطوها .. في روحه وجيبة

اسمع قهقهاتها الخافتة البريئة

اسمع تماننا المحاذرة

حتى حفيف ثوبها ؛ وهي تدور في مكانها .. تهم بالمغادرة

(.. يومان ؛ وهي إن دخلت :

تشاغلّت بقطعة التطريز ..

بالنظر العابر من شباكها الى الافريز ..

بالصمت إن سَأَلْتُ !

.. وعندما مرت على ؛ بقعة مضيئة ؛
أَلَقْتُ وراء ظهرها .. تحية انصرافها الفاترة
فاحتقنت أذناي ، واخبتأت في أعمدة الوظائف الشاغرة
حتى تلاشي خطوها .. في آخر الدهليز !

- ٦ -

أطرق باب صديقي في منتصف الليل
(تَبَّ القِطْعَةُ من داخل صندوق الفضلات)
كَلَّ الأبواب ؛ العلوية والسفلية ، تَفْتَحُ إلا .. بابه
وأنا أطرق .. أطرق
حتى تصبح قبضتي المحمومة خفاشاً يتعلق في بندول !
... ..

يتدفق من قبضتي المجروحة خيطُ الدَمِ
يتفرق .. عذباً .. منساباً .. يتساند في المنحنيات
تغتسل الرئتان المتعبتان من اللون الدافئ ،
ينفث السَمَ ..

يتلاشي الباب المغلق .. والأعين .. والأصوات
... وأموت على الدرجات !!

تدق فوق الآلة الكاتبة القديمة

وعندما ترفع رأسها الجميل في افتراق الصفحتين
تراه في مكانه المختار .. في نهاية الغرفة
يرشف من فنجانه رشفه
يريح عينيه على المنحدر الثلجي ، في انزلاق الناهدين !
(.. عينيه هاتين اللتين

تغسل آثارها عن جسهما - قبيل أن تنام - مرتين !)
وعندما ترشقه بنظرة كظيمة
فيسترد لحظة عينيه : يبتسم في نعومة
وهي تشد ثوبها القصير فوق الركبتين !
... ..

.. في آخر الأسبوع
كان يُعَدُّ - ضاحكا - أسنانها في كتفيه
فقرصت أذنيه ..
وهي تدس نفسها بين ذراعيه .. وتشكو الجوع
- ٨ -

حين تكونين معي أنتِ :
أصبح وحدى ..

في بيتي !

... ..

- ٩ -

جاءت إليّ وهي تشكو الغثيان والدوار
(.. انفقْتُ راتبي على أقراص منع الحمل !)
ترفع نحوى وجهها المبتل ..
تسألني عن حل !

... ..

هنأني الطبيب ! حينما أصطحبُها اليه في نهاية النهار
رجونه أن يُنهي الأمر .. فنارَ (.. واستدارَ يتلو قوانين
العقوبات عليّ كي أكفّ القول !)
هامش :

أفهمته أن القوانين تُسنّ دائماً . لكي تحرق
أن الضمير الوطني فيه يُملأ أن يقلّ النسل
أن الأثاث صار غالباً لأن الجذبَ أهلك الأشجار
لكنه .. كان يخاف الله .. والشرطة .. والتجار !

- ١٠ -

في ليلة الزفاف ؛ في التوهج المرهق

ظلت تُدير في الوجوه وجهها المنتصر المشرق

وحين صرنا وحدنا - في لحظة الصمت الكثيف الكلمات

داعبت الخاتم في اصبعها الأيسر ، ثم انكمشت عجلي !

(.. كانوا - وراء الباب - يكتسون النور والظلاً

وتخلع الراقصة الشقراء عريها .. وتحسب الهبات !)

قلت لها « ما أجمل الحفلا »

فاطرقت باسمّة الغمازتين والسمات .

وعندما لمستُها : تتلجج أطرافها الوجلي !

وانفلتت عجلي .. !

كأنها لم تذق الحب .. ولم يثر بصدرها التنهدات !

- ١١ -

مذ علّقنا - فوق الحائط - أو سمة اللهفة

وهي تطيل الوقفة في الشرفة !

واليوم ..

قالت إن حبالى الصوتيّة تقلقها عند النوم !

.. وانفردت بال غرفة !!

- ١٢ -

في جلسة الافطار ، في الهنيهة الطفليّة المبكرة

أعصب عيني بالصحيفة التي يدسها البائع تحت الباب

وزوجتي تبدأ ثرثرتها اليومية المتأثرة
وهي تصبُّ شأبها الفاتر في الأكواب !
(.. تقص عن جارها التي ارتدت ..
وجارها الذي اشترى ..

وعن شجارها مع الخادم والبواب والقصاب ،
.. ثم تشد من يدي : صفحة الكُرّة) !

- ١٣ -

.. العالم في قلبي مات .

لكنى حين يكف المذباغ ؛ وتغلق الحجرات :
أخرجه من قلبي ، وأسجِه فوق سريري
أسقيه نبيذ الرغبة

فلعلّ الدفء يعود الى الأطراف الباردة الصلبة
لكن .. تنفتت بشرته في كفى
لا يتبقى منه سوى .. جمجمة .. وعظام !
... وأنام !!

(١٩٦٧)

اجازة فوق شاطئ البحر

أغسطس ،

الاسكندرية :

واليود ينشع في رثتين ..

يسد مسأهما الرُّبُ .. والأثرية !

...

طفولة « مايو » شيخ ،

وفي الصبح : نرفع راياتنا البيض للبحر .. مستسلمين ،

لينحترنا الملح ، يمنح بشرتنا التمش البرصى ،

ونفرش أسطة الظهير ، نجلس فوق الرمال ،

نُبرِّح في حزننا الغامض الشيقى .. لكى يتوهج !

(.. حين همنا بامساكه : احترقت يدنا !) ،

نتلمس ندى البكارة .. كيف تحب النضارة فيه ،

فيغرز سماً .. ودوداً يعيث بتفاحة معطبة ؟!

... .. .

وفي الليل . نخفض راياتنا ..

رُدِّيهِ ، رُدِّيهِ .. يَرُو لنا الحكمة الصائبة !
ولكنها ابتسمت بسمّة شاحبة !

... ..

وكانت على البحر رايةً حزينةً ، وغضبةً ريج
ونحن — مع الصمت — نعمل جثثنا فوق اكتافنا ،
ثم نهبط في طرقات المدينة ،
نستوقف العابرين ،
نسائلهم عن طريق المدافن .. والرحلة الخائبة !
ولكننا في النهاية ..

عدنا الى شاطئ البحر .. والراية الغاضبة !!

• • •

بدايتنا البحر ..

— حين قصصنا المقابر ! —

كيف رجعنا إليه !؟

وكيف الطريق اشتبه !؟

(١٩٦٦)

تنقضُ الهدنةَ الأبديةَ ،

نجرؤ أن نتساءل « هل نحن موتى » ؟

وجولأنا في الملاهي ،

اهتزازأنا في الترام ،

تلاصقنا في ظلام المداخل ،

ذبيذبة النظرات أمام المعارض والعابرات الرشيقات ،

مركبة الخيل حين تسير الهوينى بنا ،

الضحكات ، النكات —

بقايا من الرّيد المر .. والرغوة الذاهبة !!!

« نرى نحن موتى .. »

وننشأ أنيابنا في الطيور المهاجرة المتعبة !!

(٢)

صديقي الذي غاص في البحر .. ماث !

فحططته ..

(.. واحتفظتُ بأسنانه ..)

كلّ يوم إذا طلع الصبح : آخذُ واحدة ..

أقذف الشمس ذات الحيا الجميل بها ..

واردد : « يا شمس ! أعطيك سنته اللؤلؤية ..

ليس بها من غبار .. سوى نكهة الجوع !!

موت مغنية مغمورة

صوت (١) :

أغلقى المذياع ؛

هذا زمن السكينة ،

« سالومي » تغنى ..

من ثرى يحمل رأس « الممعدان » ؟

في انكسارات الظلال ..

تبدأ الأحزان في أعماقنا إيقاعها الهادى ،

تصحو الرغبة المرتعشة .

تنوالى قطرات الصمت من صنوبرها الفضى ،

كفى ترسم في صفحة ماضينا .. الدوائر

صورة لأمرأة تجلس في البهو — تحوُّك الصوف —

في مئزرها البيئى ، لفاء الضفائر

نقرات المطر العذبة في النافذة البيضاء ،

دفعُ الدفء من تمتمة القطعة ،

موسيقى السكون الموحشة

مركباتُ الغد تدنو في الخيال ..

تسهل الأفراسُ عند الباب :

— « أين القادمون ؟ »

— الليل .. الوحدة .. والشوقُ المحال !

(تقاسيم) :

عقب استعراضها الفاشل .. لم تخلع رداء الرقص ،

ظلت خلف أستار « الكواليس » ،

ثُرْدُ السحبِ الزرقاء عن أعينها ، تبكى شباباً ..

كانت المتعة فيه : قطعة الجبن .. وكأسين من « الروم »

لكى تمرح في غرفة ريفي من الطلاب ..

لا تملكُ مئامَ سوى الكسرة والتبغ الرخيص ،

— الآن يمشى خلفه .. سربٌ من الأطفال ،

عند النوم يسطون على منظاره الطيب .. حتى لا يرى

وجهها صافٍ .. وعيناها غديران من الحزن ،

ويدنو الخادمُ الأسمرُ ، يلقي باقة الورد ،

ويلقى دعوة للسهر ..

(. الآن ستمضى ،

وغدا سوف يوافيها الطيبُ — الموتُ والاجهاضُ —

هذا شهرها الثالث . رغم الحذر الشائع !
حتى أنت يا أفراس منج الحمل !؟
ما من أحد في هذه الدنيا جدير بالأمان !

منفرد

من يفترس الحمل الجائع
غير الذئب الشبعان ؟
ارتاح الرب الخالق في اليوم السابع
لكن .. لم يسترح الانسان

صوت (٢) :

وحدها .. تساقط الدمعة من عين الليال
بعد أن علقها الوهم طويلا ..
وحدها ، سرعان ما ترشفها الأرض ؛
وينساها الرجال
شربوا قهوتها المرة ، والمذايغ مازال يفتى !
والمصاييح تُضاء !

الموت في لوحات

(١)

مصفوفة حقائبي على رفوف الذاكرة .
والسفر الطويل ..
يبدأ دون أن تسير القاطرة !
رسائل للشمس ..
تعود دون أن تمس !
رسائل للأرض ..
ترد دون أن تُفص !
يميل ظلي في الغروب دون أن أميل !
وها أنا في مقعدى القائط .
وريقة .. وريقة .. يسقط عمري من نتيجة الحائط
والورق الساقط
يطفو على بحيرة الذكرى ، فتلتوى دوائرنا
وتختفي .. دائرة .. فدائرة !

(٢)

شقيقتي « رجاء » ماتت وهي دون الثالثة .

ماتت وما يزال في دولاب أمي السرى .

صندلها الفضى !

صدارها المشغول ، قرطها ، غطاء رأسها الصوفى

أرنبها القطنى !

وعندما أدخل بهو بيتنا الصامت

فلا أراها تمسك الحائط .. عليها تقف !

أنسى بأنها ماتت ..

أقول . ربما نامت ..

أدور في الغرف .

وعندما تسألني أمي بصوتها الخافت

أرى الأسى في وجهها الممتقع الباهت

وأستبين الكارثة !

(٣)

عرفتها في عامها الخامس والعشرين .

والزمن العنّين ..

ينشب في أحشائها أظفاره الملوّنة .

صلّت إلى العذراء ، طوّقت بكل صيدلية

تقلب بين الرجال الخشدين !

.. وما تزال تشتري اللغائف القطنية !

.. ما تزال تشتري اللغائف القطنية !

... ..

وحين ضاجعت أباها ليلة الرعد

تفجّرت بالخصب والوعد

واختلجت في طينها بشارة التكوين !

لكنها نادت أباها في الصباح ..

فظل صامتا !

هزّته .. كان ميتا !!

(٤)

من شرفتي كنت أراها في صباح العطلة الهادئ

تنشر في شرفتها على خيوط النور والغناء

ثياب طفلها ، ثياب زوجها الرسمية الصفراء

قمصانه المغسولة البيضاء .

تنشر حولها نقاء قلبها الهائى

وهى تروح وتجيء .

... ..

والآن بعد أشهر الصيف الردىء

رأيتها .. ذابطة العينين والأعضاء

تنشر في شرفتها على حبال الصمت والبكاء

(٥)

حبيبتي في لحظة الظلام ؛ لحظة التوهج العذبة

تصبح بين ساعدتي جثة رطبة !

ينكسر الشوق بداخلي ، وتخفت الرغبة

أموء فوق نخدها

أضرع فوق نهدها

أود لو أنفذ في مسام جلدھا

لكن .. يظل بيننا الزجاج .. والغياب .. والغربة !

.....

و ذات ليلة ، تكسرت ما بيننا حواجز الرهبة

فاحتضنتني .. بينا نحن نفوس في قرارة التربة

تبعثرت في رأسها شرائح الصورة والنجوم

واختلطت في قلبها الأزمنة المشيم

لكنها وهى تناجيني

سمعتها تناديني

باسم حبيبها الذى قد حطم اللعبة

مخلفاً في قلبها .. ندبة !!

بطاقة كانت هنا

(١)

المنزل الثالث بعد المنحنى

الطابق الأخير .

بطاقة صغيرة كانت هنا

وخيط ضوء كان من خلال بابها ينير !

الطابق الأخير ..

الوحشة السوداء في الأعصاب تنفوس

يدى على الجرس :

سدى .. سدى !!

تراجعت في أذني رحلة الصدى

وأساقت الرماد من لفافتي !

كانت هنا حبيبتي

عيونها محابر الضياع

عام .. وعامان .. مداها الحزين لم يجف

صلاة هرة إلى الشتاء خلف باب

وبسمة كأن نورساً على المدى يرقف !
ها أنذا ..
يدّ تساندت على الجدار
وخطوة تهبط للقرار !

(٢)

حانوث خمار كئيب
يرسم في كئوسه عرائس الأحلام ؛ في الزجاج
توهجت عند امتلائها ..
وبعد برهة .. عاودها الشحوب !
حييتي ملاح ابتسامة على يريقها الوهاج
« بنلوب » أين أنت يا حييتي الحزينة ؟
صيفان ملحدان في مخاطر الأمواج
كقبضة من العفونة ..
أعود ، كى يغتسل الحنين في بحيرة اللهب .
لكننا « بنلوب » ..
بطانة كانت هنا !
ووحشة غريبة ، وثقبُ باب لم يعد يضيء !
وعنكبوت قد أتم — فوق ركنه — نسيجه الصوفى !

لقد أتمّ العنكبوت ما بدأت في انتظارك الوفى !
ما كان كان ..
لكننا ملاح الزجاج
لا تعرف النسيان !

(٣)

الليل عند المنتصف
يا سائق السيارة العجوز .. قف
المنزل الثالث بعد المنحنى ..
لكنها يا صاحبي العجوز .. لم تعد هنا !
امض هناك حيث لا مكان
حيث البيوت دوّما عنوان
أوغل بنا في رحلة السراب
قافلة الغناء تستعد للمسير خلف دورة المضاب
لا تسأل الحادين عن وجهتها ، عن المآب
فهم هناك يرقبون أصبع النجوم
ضاعت معالم الطريق في الضباب .
حييتي لا بدّ أنها هناك
تسأل عن رواحل ارتدّت من الغروب
لا ترتبك ، فقد يضيع العمر في هنيهة ارتباك .

حبيبتى : لقد نجوئ من « سدوم »
طفلك آت من مدينة الخراب
الموت ما يزال مقعياً على الأبواب
الخاطئون ..

هم الذين يرحلون
في هذه القافلة المسدودة الدروب
... ..
سدى .. سدى ..

تراجعت في أذننى رحلة الصدى
وأساقط الرماد من لفافتى .

ظماً .. ظ

جسدى : صخرة صهرتها الظهيرة .
حلقها يتفتت ،

والبحرُ بعد ذراعين .. بُعد السماء !
فرسُ الموج تنفض أعرافها البيضُ ،
تعدو بمركبة الزرقة اللهيئة ،

لكنها تتحطم فوق الحواجز .. تهوى كسيرة !
أكشف الرأسَ تحت الرذاذ ،

أمدُ يدي حاملاً كوينى الفارغَ الورقى ..
لتسبح فيه الفقايع ذات العيون الصغيرة
عطشٌ .. عطشٌ ، والنداء .

خنجر في الهواء !

حين صار فمى فضة : وقف البيّاع ..
عاريا .. نزع ريشه يدها المحنقة .
قالت الزنبقة :

« أرخ عينيك .. وافتحهما .. »

ثم .. لم ألقها في شجيرتها المطرقة !

شعرها طائر جرفته الرياح

شعرها والوشاح

وهي تعدو .. وما بيننا الصمت والقشعريرة !

كل من شربوا .. هربوا دون أن يدفعوا ثمنًا للعزاء

رَحَلوا .. بعد أن قلبوا في التراب الاناء .

ووفدت على الحان : لم أر غير الحطام ..

وذبال المصابيح .. والقط يعث بالفضلات الأخيرة .

— سيدى : مُلكك الحزن والكبرياء

خيطة ؟ انقطع الخيط منك ،

وعصفوره قرّ دامي الجناح !

أمراء المدينة مروا إلى الصيد عند الصباح

الفريسة تجرى .. ولكن كلبك يُرنحى الذئب

وهو يكم في رثيه النباح !

في سكون المساء

كنت أنقر عين الشهيد المحسّم فوق النُصُب

حين مرّ السكارى .. يدورون في حلقات الصخب

يبدأون الغناء:

« ياعيون النساء »

« أمطرى .. أمطرى »

« من تُرى تشتري خنجري »

« لتخبئه في حقيبتها .. »

« ثم تبقر بطن غريمها المومياء ؟ »

(. أيها الأشقياء !)

.. مرّ في التائه المغترب

فتمدد فوق الحشائش .. ملتصقاً بالرخام

وتوسد دمعته ، ثم نام .

(ظمىء الناس للدم في كل قلب محب ..

فاسقهم يا غلام !)

مرّ في غاسلو الطرقات

فأداروا خراطيمهم ، غسلوا النُصُب الحجرى ،

.. وكنت على الدرجات

أناؤه مرتعشاً ، وثيابي تلصق في جسدى المضطرب

والرياح تمه ، وتصفعنى بالعواء .

... ..

أهلّى الغرباء .

عثروا لى مع الصباح ، أهذى بغيوبة الموت ،

محتقن الوجه ، خاوى الوفاض

يتفتت حلقى لقطرة حُب ..

غير أن البنايع جفت بعينى ، والبحر غاض ..

ويهوى البيضاء !

الحزن لا يعرف القراءة

تأكلنى دوائرُ الغبار .

أدور فى طاحونة الصمب ، أدوب فى مكاني المختار

شيباً فشيئاً .. يختفى وجهى وراء الأقنعة

أعمدة البرق التى تطل من نوافذ القطار

كأنها سربٌ لوزٍ أسود الأعناق

يطلق فى سكينتي صرخته المروعة

ويختفى .. متابعاً رحلته مع التيار !

(صوئك كان ؟

أم نعاسُ الشهوة الماكر ما بين انفراج الشفتين ؟

هذا الذى يشبك قلبى خاتماً .. تحت نعمة القفاز

حتى إذا اغتسلت — فى نهاية السهرة — من لزوجة الألفاظ

تخبئته على نافذة الحمام .. يستعيد ذكرياته ..

ويسترد الزمن الضائع بين الصورتين !)

توقفى أيتها الأشرطة البيضاء

فقد نرى الحيط الذى خلفه الثعبان فوق الصحراء

قد نرى عظام من ماتوا من الظمأ

قد نرى .. وقد نرى ..

كنها الأشياء ..

دب فيها نبضها الوحشئ ، نبضها المكبوث

نرو على وجهى دقيق دفتها ..

مزقاً من ورقات التوث .

شرع فى العيون صولجانها المكسوة بالصدأ

فى المقاهى ترفع الصوت ، وتحكى عن فضائح البيوت !

- فى آخر العمر ، تصير الأذن عادة ..

سلة مهملات .. !

ooo

(جوارب السيدة المرتجة

ظلت تثير السخرية

وهى تسير فى الطريق .

وحين شدتها : تمزقت ..

فانفجر الضحك ، ووارت وجهها مستخذية .

وهكذا أسقطها الصائد فى شباك سيارته المفتوحة

فارتبكت وهى تسوى شعرها الطليق

وأشرقت بالبسمات الباكية !)

ooo

لقد فقدت مقعدى .. قبيل أن يرتفع الستار

وانكسرت فى داخل الرغبة فى استرداده ، الرغبة فى الشجار

فكل شئ يرتجى فى لحظة التأهب المرتقة

وتعبت الأيدي بأزرار قميصها المذهبة

وتنطفئ فقاعة السخط .. ببسمة اعتذار !

شيئاً فشيئاً .. غاب عن قلبى خيط الضوء !

واللحظة المنتبهة !

والنشوة الأولى التى تشد الظهر ..

حين يدق سمعنا إيقاع خطو امرأة مقتربة !

وضحكة العذراء عندما يرشها رذاذ البحر !

والألم الذى يهضرنا لطفلة عرجاء !

والدفء فى استغراق كهل جالس ، يحل فى هدوء ..

مسابقات الكلمات .. !!

ooo

رعوسنا تسقط .. لا يسندها ..

إلا حواف الياقة المنتصبه !

فارحم عذائى أيها الألم ..

واسند حطامى المنهار .

بكائية الليل والظهيرة

- ١ -

في كل ليل ..

تخلع الذكرى ملبسها المغيرة القديمة ،

تستحم برششات الضوء ؛ تفسل فيه ، وعشاء الطريق

وتسترد نضارة الألوان .. والمرح العديم .

نديانة .. كالظل ، تخلع حُفها المبلول ،

تستلقى جوارى في الظلام ؛ تضى بشرتها :

برائحة التوغل في الحقول ..

برعشة القمر المؤرجح في مرايا النيل ..

بالقطرات تلمع في منابت شعرها المحلول ..

بالنبض الخجول .. يرف في استدفائها ..

بالثغرة الغناء في الصوت الرخيم

.. وذراعها يلتف : يرتش التوهج تحت لمسته .

وتقلع آخر السفن المقدسة المضيفة من مرافئها ؛

تشق النهر ؛ تنثر ما تبقى من رمادى :

فوق أذرعة الخريف البائسات .. فتكتسى ،

فوق الشفاه اليابسات .. فترتوى ،
فوق المروج .. فتنتوى في الليل موسيقى الجنادب ،
في الحظائر ... يهدأ المهرُ الحرون ،
على مناقير الطيور .. فتقطع الأفراخ من توت الغناء الحلو
في عقم السماء .. فتنبض البشري ، وتنعقد الغيوم .

يا دقة الساعات

هل فاتنا .. مافات ؟

ونحن مازلنا ..

أشباح أمنيآت

في مجلس الأموات ؟!

- ٢ -

فاض النهارُ بنا ، فمزق عن تصوفنا معاطفنا ،

وألقانا على أعتاب مملكة النيمة ، والذباب يطنُ ،

والكلمات : أقداح مكسرة الحواف ..

إذا لثمنها .. تبحرت الرؤى !

والصمت : قضبان محمأة على وهج البكاء .

(فاض الاناء ، وعاملُ البرق الصغير يدق باب البيت ؛

كونى أى شئ — فيه نغمس خبزنا الحجرى — ملتهب
الدماء !

ندم الغبار يلح فوق وجوهنا ،
ونلوذ بالجدران نحفر فوقها أسماءنا .. لكنها تنفتت !
الجدران وهم ..

والرجال المصقون على مساحة صفحة الاعلان ،
والصور الثمينة فى المعارض ، والنقوش على المعابد ،
والوسام العسكري لأنبيل الشهداء ،
والزهو الذى يندس فى رحم النساء .
(.. تلك المرأة :

سمحت جلسات شاي العصر ..
سمحت انتعاشتنا بلسع الماء فى حمامنا الصيفى —
سمحت البراءة فى تساؤل طفلنا من أين جاء !)

يا آخر "لحقات"
قولى لنا .. من مات .
كى نحتسى دمه
ونختم السهرات

« — آو .. وتسقط الشمس الصغيرة عن رداء النوم
تبكى المرأة الأفعى على كتف العشيق ،
وتستريد من البكائيات ، تلقم صدرها العارى يديه ..
— لعله يبنى بها بعد الحداد ! —
تدير عينها اللتين تندتا .. فأذابتا بقع الضياء ؟)

كان الطريق يدير لحن الموت — كان جهنمى الصوت —
فوق شرائط التسجيل ..
فى أسلاك هاتفه المحتك ..
فى صرير الباب من صدأ الغواية ..
فى أزيز مراوح الصيف الكبيرة ..
فى هدير محركات « الحافلات » ..
وفى شجار النسوة السوقى فى الشرفات ..
فى سأم المصاعد ..
فى صدى أجراس إطفائية تعدو .. مصلصلة النداء .
(.. كونى إذن ما شئت :

ساقطة تدور على مواخير الموانىء ،
وجه راهبة تضاجع صورة العذراء ،
أمّا تأكل الأطفال ،

ماذا تخفى في حقيبتك العتيقة .. أيها الوجه الصفيق
أشهادة الميلاد ؟

أم صك الوفاة ؟

أم التهمة تطرد الأشباح في البيت العتيق ؟

ماذا تخفى أيها الوجه الصفيق ؟!

ماذا تخفى أيها الوجه الصفيق ؟!

(١٩٦٦)

أشياء تحدث في الليل

إلى صلاح حسين ..

رخاوة النعاس تغمر المسافرين في قطار الليل ..

.. وفي حقول قرية بعيدة

شق السكون — فجأة — غواء ذئب

وانعقد الحليب في الضروع

وانطلق رصاصة :

فكفت الأشياء — بعدها — عن الوجيب ..

هنيئة ، ثم استعادت نبضها الرتيب ..

وكانت الليلة .. لا تزال مقمرة !

(كان النشيد الوطني يملأ المذياع منبهاً برامج المساء

وكانت الأضواء تنطفئ ..

والطرقات تلبس الجوارب السوداء

وتغمر الظلال روح القاهرة .)

والدم كان ساخناً يلوث القضبان

هذا دم الشمس التي ستهرق ، الشمس التي ستغرب ،

الشمس التي تأكلها الديدان !

دم القتل أحمر اللون ،

دم القتل أخضر الشعاع

خيطة عليه تُنشر الدموع .. كى تحف في أشعة الصبح

(وكان مبنى الاتحاد صامتاً .. منطفئ الأضواء

تسرى إليه من غير « هيلتون القريب ..

أغنية طروب !)

وكان وجهه النبيل مصحفاً عليه يُقسم الجياح

وكانت الذراع ..

فارعة ، كأن محراثاً يشق الأرض !

كانت الذراع ..

ضامرة .. كيدرة القمح

ضامرة كالسنّة الأولى التى تنبت في فم الرضيع !

(وكانت المطابع السوداء تلقى الصحف .. البيضاء

وصاحبان في ترام العودة الكسول

يختصمان في نتائج الكرة .

وفي طريق الهرم الطويل .

تبادلت سيارتان — كادتَا في الليل أن تصطدما —

السباب !)

وفي الصباح ، والنشيدُ الوطنيُّ يملأُ الأسماع

كان فرأشُ الحقل يبدأ النشيج

وكانت الأصواتُ في القرى .. جنائزيةً الابقاع

ورحلةُ الموال في الضلوع تفرد القلوع :

« أدهم مقتول على كل المروج »

« أدهم مقتول على الأرض المشاع »

.....

وكان وجهه النبيل مصحفاً ..

عليه يقسم الجياح !

العشاء الأخير

بكائية :

أعطني القدرة حتى ابتسم ..
عندما ينغرس الخنجر في صدر المَرَح
ويدب الموت ، كالقنفذ ، في ظل الجدار
حاملاً مبخرة الرعب لأحداق الصغار .
أعطني القدرة .. حتى لا أموت .
منهك قلبي من الطرق على كل البيوت
علني في أعين الموتى أرى ظلّ ندم !
فأرى الصمت .. كعصفورٍ صغير
ينقر العينين والقلب ، ويعوى ..
في ثنايا كلِّ فم !

- ١ -

« الرياح » اختبأت في القيو ؛ حتى تستريح ..
.. فيه من أرجحة الأجساد فوق المشنقة .

ووقفنا نحرس الباب ، ونحُمى الأزقة
بيننا خيلُ الممالك تدق الأرض بالخطو الجموح
يقتفون الأثر
يسألون الدرب عن خطوة ريح فيه ؛ عن أية ريح !
فنفض البصرا !

ومضوا ، والسنبك المجنون يهوى ، فيصب الشررا
وتواروا في الخواري الضيقة .
.. نحن عدنا نحمل البشري لها
وهتفنا باسمها
وهزنا كتفيها ، عبثا ..
وتدلت رأسها في راحتينا .. ميتة !
نحن كنا نحرس الباب ، ونحُمى .. اللافتة
وهي — تعويدتنا — لم نحملها !

- ٢ -

الخيولُ المرسجة . !
صهلت ، لكن هل الفرمان فرسانٌ كما كانوا .. غدا ؟
والمهاميزُ التي تحملها الأقدام .. غاصت في القلوب !
وسيوفٌ ثلمت ..
فقد استأجرها النحاسُ .. تحمى هودجه !

وسيوّف قنعت أن تتدلى عند الاستعراض .. زينة !
وحائل ..

حملتها في دياجى الليل أضلاعُ المقاصل
ودقنا نبلها المقهور في عام البكاء .

.. شبحُ الفرسان ما زال على وجه المدينة
صامتاً يأتي إذا جاء المساء

صامتاً ينفذ أطراف الرداء
ويمد الجسدا ..

فيمد الخوف في الليل يدا !

ثم يمضى ، يحمل الأكفان ، يسرى في الدروب
يحمل الأكفان أثواب ركوب !

والمهاميز التي تحملها الأقوام .. غاصت في القلوب !

- ٣ -

التحيات « مساء الموت » ياقلبي
فلا تلق التحية

— من ترى مات ؟

— أنا ..

— أنت !

— أجل .

— أنت لا تملك يوماً أن تموت .

— الحماماتُ لوث أعناقها ..

والتوى حتى لسانى بالرطان

— أنت لا تعرف من أنت ..

— أنا :

منذ أن مات ألى ..

كل من تعشقه ألى الثرىة ..

كل من تعشقه ألى : أب لى فى العباد !

— ربما « أحس » ربته امرأة .

— .. ذهبُ الشمس العجوز انصهرا

وهوى فوق نفايات الثرى

وأنا أبكى على تل الرماد !

يفتح الخلب أجفان العيون

لترى .. لكن ترى ماذا ترى ؟

(ساعة الحائط في معبد « هاتور » .. انتهت دقائقها

وانتهت « طروادة » البكر .. على وهم الحصان !)

— .. أنا « أوزوريس » صافحت القمر

كنت ضيقاً ومضيئاً فى التويحه

حين أجلسُ لرأس المائدة

وأحاط الحرُس الأسود بى

عندما يبتلع (الكورنيش) أضواء الغروب
تسعل الظلمة فيه والبرودة
يحمل الجوع إلى العار .. وليده
كلمات ..

ثم تنسل من البرد .. لدفع العربات .
والمصاييح : شظايا قمر .. كان يضيء
حطمته قبضة الطاووس فوق الطرقات
ثم أهده إلى النسوة .. كي يصلبنه فوق الصدور .
يتباهين به .. وهو رفات !
كلمات .. كلمات ..

ثم تنسل من البرد لدفع العربات .
وأنا « يوسف » محبوب « زليخا »
عندما جئت إلى قصر العزيز
لم أكن أملك إلا .. قمرا
(قمرا كان لقلبي مدفاة)
ولكم جاهدت كي أخفيه عن أعين الحراس ،

فتطلعت إلى وجه أخى ..
فتفاضت عينه .. مرتعدة !
أنا أوزوريس ، واسيت القمر
وتصفحت الوجوه ..

وتنبأت بما كان . وما سوف يكون ؟
فكسرت الخبز ، حين امتلأت كأسى من الخمر القديمة
قلت : يا اخوة ، هذا جسدى .. فالتهموه
ودمى هذا حلال .. فاجرعوه !
خبيا المصباح عينيه .. بأهداب جناحيه ..
لكى تخفى الجريمة
وتشئ الضوء من حد الخناجر !

— ربما أحيالك يوماً دمع « ايزيس » المقدس
غير أنا لم نعد نتجب ايزيس جديدة
لم نعد نصفى الى صوت النشيج
ثقلت آذاننا منذ غرقنا فى الضجيج
لم نعد نسمع إلا .. الطلقات !
(يفرض الرعب الطمأنينة فى ظل المسدس ..)
— الطمأنينة فى ظل الحداد !
— سيدى .. نحن انزلقنا من ظهور الأمهات
بيد تضغط ثقب الجرح ،

ربما نُورٌ في الظلمة برهة .
غير أني كنتُ جائع
وأنا الآن فقدتُ القمرأ .

.....
جائع يا قلبي المعروض في سوق الرياء
جائع .. حتى العياء
ما الذي آكله الآن إذن ..
كي لا أموت ؟

(ديسمبر ١٩٦٣)

عن كل العيون الصديقة
.. كان في الليل يضيء !
حملوني معه للسجن حتى أطفئه
تركوني جائعاً بضع ليال ..
تركوني جائعاً ..

فتراءى القمرُ الشاحب — في كفى — كمكة !
وإلى الآن .. بحلقي ما تزال ..
قطعة من حزنه الأشيب .. تُدمنيني كشوكة !

• • •

أعطني القدرة حتى أبتسم ..
فشعاع الشمس يهوى كخيوط العنكبوت
والقناديل تموت
قدمي تلتمس السلّة الأولى لكي أصدف فوقها
ويدى تلتمس الحاجز إذ أخشى السقوط
كيف أبقى ؟

عفن الموقى ؛ وأطياب الخنوط
نكهة تكسو فناء البيت ، تسرى في دمي عرقاً فعرقاً .
.. منهك قلبي من الظلمة ، إني لا أرى
آه لو لم ألتهمه — القمر الشاحب — لو ..

حديث خاص مع ابي موسى الأشعري

[حاذيت خطو الله ، لا أمامه ، لا خلفه ...]

- ١ -

.. إطار سيارته ملوث بالدم !

سار .. ولم يهتم !!

كنت أنا المشاهد الوحيد

لكنني .. فرشت فوق الجسد الملقى جريدتي اليومية

وحين أقبل الرجال من بعيد ..

مزقت هذا الرقم المكتوب في وريقة مطوية

وسرّ عنهم .. ما فتحتم القم !!

(حارب في جريهما

وعندما رأيتهما كلاً منهما .. متتهما

خلعت كلاً منهما !

كفي يسترد المؤمنون الرأى والبيعة

.. لكنهم لم يدركوا الخدعة !)

حين دلفْتُ داخل المقهى

جرّدني النادل من ثيابي

جرّدته بنظرة ارتياب

بادلته الكُرْها !

لكنني منحتهُ القُرش : فزّين الوجها ..

ببسمية .. كلبية .. بلها ..

ثم رسمت وجهه الجديد .. فوق علية الثقب !

- ٢ -

رأيتهم ينحدرون في طريق النهر ..

لكي يشاهدوا عروس النيل — عند الموت — في جلوتها

الأخيرة

وانخرطوا في الصلوات واليكاء .

وجئت .. بعد أن تلاشت الفقايع ، وعادت الزوارق

الصغيرة

رأيتهم في حلقات البيع والشراء

يقايضون الحزن بالشواء !

.. تقول لي الأسماك

تقول لي عيونها الميتة القريرة :

ان طعامها الأخير .. كان لحماً بشرياً ..

قبل أن تحرفها الشباك !

يقول لى الماء الحبيسُ فى زجاج الدورق اللماغ
ان كلينا .. يتبادلان الابتلاغ !

تقول لى تحنيطة التمساح فوق باب المنزل المقابل
إن عظام طفلة .. كانت فراش نومه فى القاع !!

(خلعتُ خاتمي .. وسيدى .

فهل تُرى أحصى لك الشاماتِ فى يدي

لتعرفني حين تُقبلين فى غدٍ

وتغسلين جسدى

من رغوات الزيد !)

فى ليلة الوفاء ..

رأيتها — فيما يرى النائم — مَهْرَةً كسلى

يسرجها الخوذى فى مركبة الكراء

يهوى عليها بالسياط ، وهى لا تشكو .. ولا تسير !

وعندما ثرت .. وأغلظت له القولا ..

دارت برأسها ..

دارت بعينها الجميلتين ..

رأيتُ فى العينين : زهرتين

تنتظران قبلة . من نخلة هيض جناحها .. فلم تُعد تطير !

.. رأيتها — فيما يرى النائم — طفلة .. حبل !

رأيتها .. ظلا !

وفى الصباح : حينما شاهدتها مشدودة إلى الشراغ

ابتسمت ، ولوحت لى بالذراع

لكننى : عثرتُ فى سبرى !

رأيتى .. غيرى !

وعندما نهضت : ألقىت عليها نظرة الوداع

كأننى لم أرها قبلا !

فأطرقْتُ خجلى ..

ولم تقلُ لى رأيتها .. ليلا !

— ٣ —

خرجتُ فى الصباح .. لم أحمل سوى سجائرى

دسستها فى جيب رقى الرمادية

فهى الوحيدة التى تمنحنى الحب .. بلا مقابل !

رؤيا :

(ويكون عام .. فيه محترف السنايل والضروع
تنمو جوافرنا — مع اللعنات — من ظمأ وجوع
يتزاحف الأطفال في لعق الثرى !
ينمو صديد الصمغ في الأفواه ،
في هدب العيون .. فلا ترى !

تساقط الأقراط من أذان عذراوات مصر !
ويموت ثدى الأم .. تنهض في الكرى
تطهو — على نيرانها — الطفل الرضيع !!)

حاذيت خطو الله ؛ لا أمامه .. ولا خلفه
عرفت أن كلمتي أثقت ..
من أن تنال سيفه أو ذهبه .

(حين رأث عيناى ما تحت الثياب : لم يعد يثرى !)
قلبت — حيناً — وجهي العملة
حتى إذا ما انقضت المهلة

ألقيتها في البر .. دون جلبة !

وهكذا .. فقدت حتى حلمه وغضبه .

(عيناك : لحظنا شروق

أرشف قهوى الصباحية من بينهما المحروق

وأقرأ الطالع !

وفي سكون المغرب الوادع

عيناك ، يا حبيبتى ، شجرتا برفوق

تجلس في ظلهما الشمس ، وترفو ثوبها المفتوح

عن فخذاها الناصع !)

- ٤ -

.. وستبهطين على الجموع

وترفرفين .. فلا تترك عيولهم .. خلف الدموع

تتوقفين على السيوف الواقفة

تسمعين المهمات الواجفة

وسترحلين بلا رجوع !

....

ويكون جوع !

ويكون جوع !

(مارس ١٩٦٧)

من مذكرات المتنبى

(في مصر)

• • أكره لون الخمر في القنينة
لكننى أدمتها .. استشفاء .
لأننى منذ أتيت هذه المدينة
وصرتُ في القصور ببعاء :
عرفتُ فيها الداء !

• • أمثل ساعة الضحى بين يدى كافور
ليطمئن قلبه ؛ فما يزال طيره المأسور
لا يترك السجن ولا يطير !
أبصر تلك الشفة المثقوبة
ووجهه المسود ، والرجولة المسلوبة
.. أبكى على العروبة !

• • يومى ؛ يستشدينى : أنشده عن سيفه الشجاع
وسيفه فى غمده .. يأكله الصدا !
وعندما يسقط جفناه الثقيلان ؛ وينكفى .
أسير مثقل الخطى فى ردهات القصر

أبصر أهل مصر ..

ينتظرونه .. ليرفعوا إليه المظلمات والرقاع !

.. جاريتى من حلب ، تسألنى « متى نعود ؟ »

قلت : الجنود يملأون نقاط الحدود

ما بيننا وبين سيف الدولة .

قالت : سئمت من مصر ، ومن رخاوة الركود

فقلت : قد سئمت — مثلك — القيام والقعود

بين يدى أميرها الأبهة .

لعت كافورا

وغئت مقهورا ..

• • « حَوْلَةُ » تلك البدوية الشמוש

لقيتها بالقرب من « أريحا »

سوية ، ثم افرقنا دون أن نبوحا

لكنها كل مساءً فى خواطرى تحبوس

يفتر بالشوق وبالعتاب ثغرها العبوس

أشم وجهها الصبوحا

أضم صدرها الجموحا !

... ..

سألت عنها القادمين فى القوافل

فأخبروني أنها ظلت بسيفها تقاتل ..

في الليل تجار الرقيق عن خبايئها

حين أغاروا ، ثم غادروا شقيقها ذبيحا

والأب عاجزا كسيحا

واختطفوها ، بينما الجيران يرنون من المنازل

يرتعدون جسدا وروحا

لا يجبرؤون أن يغثوا سيفها الطريحا !

... ..

(ساءلني كافور عن حزني

فقلت إنها تعيش الآن في بيزنطة

شريدة .. كالقطة

تصيح « كافوراه .. كافوراه .. »

فصاح في غلامه أن يشتري جارية رومية

تجلد كي تصيح « واروماه .. واروماه .. »

.. لكي يكون العين بالعين

والسن بالسن !)

° ° في الليل ؛ في حضرة كافور ؛ أصابني السأم

في جلستي نمت .. ولم أتم

حلمت لحظة بكا

وجندك الشجعان يهتفون : سيف الدولة .

وأنت شمس تختفي في هالة الغبار عند الجولة

ممتطياً جوادك الأشهب ، شاهراً حسامك الطويل المهلكا

تصرخ في وجه جنود الروم

بصيحة الحرب ، فسقط العيون في الخلقوم !

تخوض ، لا تبقى لهم إلى النجاة مسلكا

تهوى ، فلا غير الدماء والبكا

ثم تعود باسماً .. ومنهكا

والصبية الصغار يهتفون في حلب :

« يا منقذ العرب »

« يا منقذ العرب »

حين تعود .. باسماً .. ومنهكا

حلمت لحظة بكا

حين غفوت

لكنني حين صحوت :

وجدت هذا السيد الرخوا

تصدر البهوا

يقص في ندمانة عن سيفه الصارم

وسيفه في غمده يأكله الصدأ !

وعندما يسقط جفناه الثقيلان ، وينكفيء ..

تعلیق علی ماحدث

یتسم الخادم .. !

.. تسألنی جاریتی أن أکتری للبيت حرّاسا

فقد طغى اللصوص فی مصر .. بلا رادع

فقلت : هذا سيفی القاطع

ضعیه خلف الباب . متراسا !

(ما حاجتی للسيف مشهورا

ما دمت قد جاورت کافورا ؟)

.. « عید بأیة حال عدت یا عید ؟

بما مضی ؟ أم لأرضی فیک تهوید ؟

« نامت نواطیر مصر » عن عساکرها

وحاربت بدلاً منها الأناشید !

نادیت : یا نیل هل تجری المیاء دماً

لکی تفیض ، ویصحو الأهل إن نودوا ؟

« عید بأیة حال عدت یا عید ؟

(حزيران ۱۹۶۸)

في انتظار السيف !

وردة في عروة السرة :

ماذا تلدين الآن ؟

طفلاً .. أم جريمة ؟

أم تنوحين على بؤاة القدس القديمة ؟

عادت الخيل من المشرق ،

عاد (الحسن الأعصم) والموت المغير

بالرداء الأرجواني ، وبالوجه اللصوصي ،

وبالسيف الأجير

فانظري تمثاله الواقف في الميدان ..

(يهتز مع الريح . !)

انظري من فرجة الشباك :

أيدي صبية مقطوعة ..

مرفوعة .. فوق السنان

(.. مُزديفاً زوجته الحُبلى على ظهر الحصان)

أنظري خيطَ الدم القاني على الأرض :

« هنا مر .. هنا »

فَانْفَقَاتْ تَحْتَ تُحْطَى الْجَنْدِ ..

عيونُ الماءِ ،

وَاسْتَلَقْتُ عَلَى التَّرْبَةِ .. قَامَاثُ السَّنَابِلِ .

آه .. هَا نَحْنُ جِيَاعُ الْأَرْضِ نَصْطَفُ ..

لَكِي يُلْقَى لَنَا عَهْدُ الْأَمَانِ .

يَنْقُشُ السَّكَّةَ بِاسْمِ الْمَلِكِ الْغَالِبِ ،

يُلْقَى خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ بِاسْمِ الْمَلِكِ الْغَالِبِ ،

يُرْقَى مِنْبَرُ الْمَسْجِدِ ..

بِالسَّيْفِ الَّذِي يَبْقُرُ أَحْشَاءَ الْحَوَامِلِ .

° ° °

تَلْدِينِ الْآنَ مَنْ يَحْبُو ..

فَلَا تَسْنِدُهُ الْأَيْدَى ،

وَمَنْ يَمْشِي .. فَلَا يَرْفَعُ عَيْنِيهِ إِلَى النَّاسِ ،

وَمَنْ يَخْطِفُهُ النِّخَاسُ :

قَدْ يَصْبَحُ مَمْلُوكًا يُلُوطُونَ بِهِ فِي الْقَصْرِ ،

يُلْقُونَ بِهِ فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ ..

لِقَاءِ النَّصْرِ ،

هَذَا قَدْرُ الْمَهْزُومِ :

لَا أَرْضَ .. وَلَا مَالَ .

وَلَا بَيْتَ يَرُدُّ الْبَابَ فِيهِ ..

دُونَ أَنْ يَطْرُقَهُ جَابٌ ..

وَجَنْدِي رَأَى زَوْجَتَهُ الْحَسَنَاءَ فِي الْبَيْتِ الْمَقَابِلِ (

أَنْظُرِي أُمْتُكَ الْأُولَى الْعَظِيمَةَ

أَصْبَحَتْ : شَرِذْمَةً مِنْ جُثَثِ الْقَتْلِ ،

وَشَحَّاذِينَ يَسْتَجِدُّونَ عَطْفَ السَّيْفِ ،

وَالْمَالُ الَّذِي يَنْتَهِي الْغَارَى ..

فَيَهْوَى مَا تَبَقَّى مِنْ رِجَالٍ ..

وَأَرْوَمَةٍ .

أَنْظُرِي ..

لَا تَفْزَعِي مِنْ جُرْعَةِ الْخَزْيِ ،

انْظُرِي ..

حَتَّى تَقِيئِي مَا بِأَحْشَائِكَ ..

مِنْ دَفْعِ الْأُمُومَةِ .

° ° °

تُقْفَرُ الْأَسْوَاقُ يَوْمَئِذٍ ..

وَتَعْتَادُ عَلَى « النَّقْدِ » الْجَدِيدِ

تشتكى الأضلاعُ يومين ..

وتعتاد على السوط الجديدُ

يسكت المذياعُ يومين ..

ويعتاد على الصوت الجديدُ

وأنا منتظرٌ .. جنب فراشكُ

جالسٌ أرقب في حَمَى ارتعاشكُ —

صرخةَ الطفلِ الذى يفتح عينيه ..

على مرأى الجنود !

(يوليو ١٩٧٠)

فقرات من كتاب الموت

- ١ -

كلُّ صباح ..

أفتح الصنبورَ في إرهاق

مغتسلاً في مائه الرقاقُ

يسقط الماءُ على يدي .. دَمًا !

... ..

وعندما ..

أجلس للطعام .. مُرغماً :

أبصر في دوائر الأطباقِ

جماجما ..

جماجما ..

مفغورةَ الأفواه والأحداق !!

- ٢ -

أحفظ رأسي في الخزائن الحديديةَ

وعندما أبدأ رحلتى النهارية

أحمل فى مكانها .. مذياعا !

(أنشر حولى البيانات الحماسية .. والصداعا)

وبعد أن أعود فى ختام جولتى المسائية

أحمل فى مكان رأسى الحقيقة :

.. قنينة الخمر الزجاجية !

- ٣ -

أعود مخموراً إلى بيتى ..

فى الليل الأخير

يوقضى الشرطى فى الشارع .. للشبهة

يوقضى .. برهة !

وبعد أن أرشوه .. أوصل المسير !

...
توقفنى المرأة ..

فى استنادها المثير

على عمود الضوء :

(كانت مصلقات « الفتح » و « الجبهة » ..

تملاً خلف ظهرها العمودا !)

١٩٨

تسألنى لفافة :

(لم يترك الشرطى ..

واحدة من تبغها اللبلى

تسألنى إن كنت أمضى ليلتى .. وحيدا

وعندما أرفع وجهى نحوها ::

سعيدا

أبصر خلف ظهرها : شهيدا

معلقا على الحائط ، ناصع الجبهة

تغوص عيناه .. كنصلتين رصاصيتين

أصرخ من رهافة الحدين

.. أمضى بلا وجهة !!

- ٤ -

فاجأنى الخريف فى نيسان

وطائر السمان ..

حط على شواطئ البحر الشمالية

طلبت من تحبه نفسى .. قبيل النوم

فلم أجد .. إلا عذاب الصوم

طلبتُ من تحيُّه نفسي
(في الظل والشمس)
فلم أجد .. نفسي !!

... ..

وها أنا خلف النوافذ الزجاجية
أرقبُ عند المغرب الشاحب :
طائري الغائب !

(١٩٦٩)

الحداد يليق بقطر الندى

جوقة :

قَطْرُ الندى .. يا خال
مُهَرُّ بلا خيال

... ..

قَطْرُ الندى .. يا عين
أميرة الوجهين

.. ..

صوت :

كان (خمارويه) راقداً على بحيرة الزئبق
وكانت المغنيات والبنات الحور
يطآن فوق المسك والكافور .
والفقراء وال دراويش أمام قصره المغلق
ينتظرون الذهب المبدور
ينتظرون حفنة صغيرة .. من ثور .

جوقة :

قطر الندى .. يا عين

أميرة الوجهين

..

قطر الندى ..

قطر الندى ..

صوت:

هودجها يخترق الصخرأ

تسبقه الأنبياء .

أمامها الفرسان ألف ألف

وخلفها الخصيآن ألف ألف

تعبر في سيناء ..

جوقة :

قطر الندى .. يا ليل

تسقط تحت الخيل

..

قطر الندى .. يا مصر

قطر الندى في الأسر

..

(استمرار):

تعبر في سيناء

تعبر في مضارب البدو ، وفي نضوب الماء

عند انتصاف الصيف .

تحلم بالوصول للأردن ..

ترخي أعتة الخيول حول مائه ..

تغسل وجه الحزن

جوقة :

قطر الندى .. يا مصر

قطر الندى في الأسر

قطر الندى ..

قطر الندى ..

الصوت والجوقة :

.. كان (حمارويه) راقداً على بحيرة الزئبق

في نومة القيلولة .

فمن ثرى ينقذ هذه الأميرة المغلوطة ؟

من يا ثرى ينقذها ؟

من ياترى ينقذها ؟

بالسيف ..

أو .. بالحيلة ؟

(١٩٦٩)

١ - حمامة

حين سَرَتْ في الشارع الضوضاء

واندفعت سيارة مجنونة السائق

تطلق صوت بُوقها الزاعق

في كبد الأشياء :

تَفَزَّعت حمامة بيضاء

(كانت على تمثال نهضة مصر ..

تَحْلُمُ في استرخاء)

..

طارث ، وحطت فوق قبة الجامعة النحاس

لاهنة ، تلتقط الأنفاس

وفجأة : دندنت الساعة

ودقت الأجراس

فحلقت في الأفق .. مُرتاعة !

..

أيتها الحمامة التي استقرت

فوق رأسِ الجسر
(وعندما أدار شرطى المرور يده ..

ظننته ناظوراً .. يصدّ الطير

فامتلاّت رعباً !)

أيتها الحمامة التبعى :

تدورى على قباب هذه المدينة الحزينة

وأنشدى للموت فيها .. والأسى .. والذعر

حتى نرى عند قلوب الفجر

جناحك الملقى ..

على قاعدة التمثال في المدينة

.. وتعرفين راحة السكينة !

٢ - ساق صناعية

في الفندق الذى نزلت فيه قبل عام

شاركنى الغرفة

فأغلق الشرفة

وعلق (السترة) فوق المشجب المقام

وعندما رأى كتاب (الحرب والسلام)

بين يدي : اربد وجهه ..

ورف جفنه .. رفة

فغالب الرجفة

وقصّ عن صبيّة طارحها الغرام

وكان عائداً من الحرب .. بلا وسام

فلم تُطلق .. ضعفة

ولم يجذّ — حين صحا — إلا بقايا الخمر والطعام !

.. .. .

ثم روى حكاية عن الدم الحرام

(.. الصحراء لم تُطلق رشفة ..

فظلّ فيها ، يشتكى رسعه صيفة ..)

وظلّ يروى القصص الحزينة الحثام

حتى تلاشى وجهه

في سحب الدخان والكلام

وعندما تحسّرَج الصوت به ، وطالت الوقفة

أدركت رأسى عنه ..

حتى لا أرى دمعته العفة

ومن خلایا جسدى : تفصّد الحزن ..

وبلّ المسام

.. ..

وحين ظنّ أنني أنام
رأيت يخلع ساقه الصناعية في الظلام
مُصْعِداً تنهيدةً ..
قد أحرقت جوفه

٣ - شتاء عاصف

كان (ترام الرنمل) ..
متنبجاً ، كامراً في أخريات الحمل
وكنث في الشارع
أرى شتاء (الغضب الساطع)
يكسح الأوراق والمعاطفا
وكانت الأحجار قد سكونها الناصع
مغسولة بالمطر الذي توقفا
وكان في المذياع
أغنية حزينة الإيقاع
عن (ظالم لاقيت منه ما كفى ..)
قد (علّموه كيف يجفّو .. فجفا)

جلسْتُ فوق الشاطئ العابس

وكان موج البحر
يصفع خد الصخر
وينطوي - حيناً - أمام وجهه العابس .
.. وترجع الأمواج
تنطحه برأسها المُهْتَاج

ودون أن تُكفّ عن صراعها اليائس .. !
ودون أن تُكفّ عن صراعها اليائس .. !

تعليق على ما حدث في مخيم الوحدات

- ١ -

قلت لكم مرارا
إن الطوايير التي تمر ..

في استعراض عيد الفطر والجللاء .
(فتهتف النساء في النوافذ انهارا)
لا تصنع انتصارا .

إن المدافع التي تصطف على الحدود ، في الصحارى
لا تطلق النيران .. إلا حين تستدير للوراء .
إن الرصاصات التي ندفع فيها .. ثمن الكسرة والدواء :
لا تقتل الأعداء

لكنها تقتلنا .. إذا رفعنا صوتنا جهارا
تقتلنا ، وتقتل الصغار !

- ٢ -

قلت لكم في السنة البعيدة

٢١٠

عن خطير الجندي

عن قلبه الأعمى ، وعن همته القعيدة
بحرس من يمنحه راتبه الشهري
وزيه الرسمي

ليهرب الخصوم بالجعجة الجوفاء
والقعقة الشديدة
لكنه .. إن يحن الموت ..

فداء الوطن المقهور والعقيدة :
فر من الميدان

وحاصر السلطان
واغتصب الكرسي
وأعلن « الثورة » في المذايح والجريدة !

- ٣ -

قلت لكم كثيرا

إن كان لابد من هذه الذرية اللعينة
فليسكنوا الخنادق الحصينة

(متخذين من مخافر الحدود .. دُورا)
لو دخل الواحد منهم هذه المدينة :

٢١١

فتح المذباغ .. واستلقى !
 وكان القدحُ الساخن ..
 في وحدته المستغرقة .
 (.. يدخل الطيف الذي يهبط .. بغثة
 يسكتُ المذباغ .. سكته ...)
 — (موجز الانباء) ..
 .. ألفت يده السجارة المحترقة
 صرَّت النافذة المنغلقة

 (.. يعبر الغرفة :
 فوق الحائط الأزرق .. صورة
 ظلَّ يجُلُو تحتها خنجره .. مبتسما)

 مدَّ ساقيه ،
 وكان الرعبُ في عينيه ..

يدخلها .. حسيماً
 يلقي سلاحه .. على أبوابها الأمتنة
 لأنه .. لا يستقيم مَرَحُ الطفل ..
 وحكمة الأب الرزينة
 مع المُسدس المدلَّى من حزام الخصر ..
 في السوق ..
 وفي مجالس الشورى

• • •

قلتُ لكم ..
 لكنكم ..
 لم تسمعوا هذا العبث
 ففاضت النارُ على الخيّمات
 وفاضت .. الجثث !
 وفاضت الخوذات والمدرعات

(سبتمبر ١٩٧٠)

صار الصوتُ والموتُ
عدواً واحداً
منقسماً !

• • •

ظل في مقعده ..
سار الترام
وهو في مقعده ..

كلَّتْ يدا بائعة الخبز الصغيرة
وهو في مقعده ..

كفَّ فحيح الصمت في المذياع ،
وانساب « السلام »

وهو في مقعده ..
- (موجز أنباء الصباح)
وهو في مقعده ..

..

في يده سيجارة ملتصقة
وعلى الجانيط .. صورة !!

- من ذلك الهائم في البرية ؟
ينام تحت الشجر الملتف والقناطر الخيرية ؟
- مولاي : هذا النيل ..
نيلنا القديم !
- أين ترى يعمل .. أو يقيم ؟
- مولاي :

كنا صبيّة نندس في ثيابه الصيفية
فكيف لا تذكّره ؟
وهو الذي يُذكر في المذياع والقصائد الشعرية ؟
- هل كان قائدا ؟
- مولاي : ليس قائداً .

لكننا السياح في مطالع الأعوام
يأتون كي يروه ..

- آه .. ويصوّرونه لكي يُشهرُوا بنا
بوجهه الباكي .. وكوفيته القطنية
.. تعال كي نودعه في ملجأ الأيتام .
- مولاي :

هكذا تحبُّ الصبايا .. والرعاة .. والأغنام

وَأُمُّ كَلْتُومٍ تَغْنَى لَهُ ..
فِي وَصَلَتِهَا الشَّهْرِيَّةُ !

— النِيلُ !

أَيْنَ يَا تُرَى سَمِعْتُ عَنْهُ قَبْلَ الْيَوْمِ ؟!
أَلَيْسَ ذَلِكَ الَّذِي ..

كَانَ يَضَاجِعُ الْعَذَارَى ؟!
وَيَحِبُّ الدَّمَ ؟!

— مَوْلَايَ : قَدْ تَسَاقَطَتِ أَسْنَانُهُ فِي الْفَمِ
وَلَمْ يُعْذِ يَقْوَى عَلَى الْحَبِّ .. أَوِ الْفُرُوسِيَّةِ
— لَا يَدُ أَنْ يَبْرَزَ لِي أَوْرَاقَهُ الشَّخْصِيَّةِ
فَهُوَ صَمُوتُ !
يَصَادِقُ الرِّعَاغَ ..

يَهِيْطُ الْقُرَى ..
وَيَدْخُلُ الْبُيُوتَ ..

وَيَحْمِلُ الْعِشَاقَ فِي الزَّوَارِقِ اللَّيْلِيَّةِ

— مَوْلَايَ ؟ هَذَا النِّيلُ .. !!
— لَا شَأْنَ لِي بِنَبِيْلِكَ الْمُسْتَرْدِّ الْمَجْهُوْلِ
أُرِيدُ أَنْ يَبْرَزَ لِي أَوْرَاقَهُ الرَّسْمِيَّةِ :

شَهَادَةُ الْمِيلَادِ .. وَالتَّطْعِيمُ .. وَالتَّأْجِيلُ
وَالْمَوْطِنُ الْأَصْلِيُّ .. وَالْجِنْسِيَّةُ
.. حَتَّى يَمَارَسَ الْحُرِّيَّةَ !

— ٣ —

.. وَيُلْقِي الْمَعْلَمُ مَقْطُوعَةَ الدَّرْسِ ،
فِي نِصْفِ سَاعَةٍ :

(سَتَبْقَى السَّنَابِلُ ..

وَتَبْقَى الْبِلَابِلُ ..

تَغْرُدُ فِي أَرْضِنَا .. فِي وَدَاعَةٍ ..)

وَيَكْتُبُ كُلُّ الصِّغَارِ بِصَدَقٍ وَطَاعَةٍ :

(سَتَبْقَى الْقَنَابِلُ ..

وَتَبْقَى الرِّسَائِلُ ..

تُبْلَغُهَا أَهْلُنَا .. فِي بَرِيدِ الْإِذَاعَةِ)

(١٩٧٠)

.. .

يهتز قرطها الطويل ..

يراقص ارتعاش ظله ..

على تَلَفُّتَاتِ العُنُقِ الجميل

وعندما تَلْفُظُ بذَرِّ الفاكهة

وتطفئ التبغ في المنفضة العتيقة الطراز

تقول عنها : استرح !

والشفتان .. شوكتان !!

.. .

(تيقن أنت : شبحاً يفصل بين الأخوين

وعندما يفور كأسُ الجعة المملوء ..

في يد الكبير :

يقتلك المقتول مرتين !

أتأذنين لي بمعطفي

أخفي به ..

عورة هذا القبر الفارق في البحيرة

عورة هذا المتسول الأمير

الوقوف على قدم واحدة !

كادت تقول لي « مَنْ أَنْتَ ؟ »

.. .. .

(.. العقبُ الأسودُ كان يلدغ الشمس ..

وعيناها الشهيّتان تلمعان !)

— أَنْتَ ؟ !

لكنّي رددتُ بابَ وجهي .. واستكنث

(.. عرفتُ أنّها ..

تنسى حزامَ خصرها ..

في العرباتِ الفارحة !

.. . .

أسقطُ في أنيابِ اللحظاتِ الدنسة

أتشاغلُ بالرشفة من كُوبِ الصمتِ المكسور

بمطاردةِ قرّاشِ الوهمِ المخمور

أتلاشى في الخيطِ الواهن :

ما بين شُرُوعِ الخنجر .. والرقبة

ما بين القدمِ العارية وبين الصحراءِ الملتهبة

وهو يحاور الظلال من شجرة إلى شجرة
بطالع الكف لعصفور مكسر الساقين
يلقط حبة العينين

لأنه صدق — ذات ليلة مضت —
عطاء فمك الصغير ..
عطاء حلمك القصير ..

رباب

- ٩ -

جلسنا الأولى : وعيناك المليتان بالفضول ..
تفتشان عن بداية الحديث ،

وابتسامة خجول ..

في شفئك العذبتين ، وارتباكنا يطول ..
في لحظات الصمت والظلم .

نرت فوق مسند المقعد

قلت ما يقال عن رداءة الطقوس ،

تسمرت عيناي في استدارة اليافعة

في معطفك الجميل .

وكان صوتك المعنى يتحسس الطريق في شراييني ،

وبمسح الصدا

وكنت ألقى في رباط عنقي ،

أزبت ظهر قلقي ،

أمسح خيط القرق الضمير .

هر : شرعاً في زجاج الباب ،

بوس الزخرف المنقوش في مفارش الموائد ،
الوردة .. وهي تنحني في الكوب ..
شفها الذبول .

ليلتها : عيناك هاتان المليتان بالفضول
طاردتاني لحظة بلحظة ..

وفي سريري ظلنا تغنيان آخر الليل
وحين ضاق الصدر بالحنين .. وامتلاً
رفرفتا حولي

فقلْتُ .. قلتُ لهما كل الذي أردتُ أن أقول ..
(.. كنا جارين طويلاً

وخليج عيون خضر ترسو فيه
أشرعه الشوق
قلبي ما كاد يشبُّ عن الطوق
حتى أبخر في عينها الواسعتين ..
برحلته الأولى

.. لكنني أشهداها - الليلة - تنكئ عليه ..

كما كانت تنكئ علي !
شك في إصبعها خائمه الذهبي
وتغر على جبهته بأناملها الرخصة .

هل تهجرني الأحزان ؟

وأنا أشهد فانتني تستدفي ..
في أحضان القرصان ؟)

- ٢ -

كح وجهك المضيء .. يا رباب
مستطيل النور عندما يشع ..

في انفراج باب
ومحج اللفافة الأخيرة
لمعة المناقض المروقة

لمسات اللوحة المعلقة
توزة الفَراش في السقف ،

وفي انغلاق الكتاب

قربان الثلج في الأكواب

في رثّة الملاعق الصغيرة
في صمته المذيع برهة قصيرة
في ثنّيات الظل في الثياب
في غشي النوافذ الصامت ..
بعد أن ينقشع الضباب .

• • •

(.. بالريح المقهورة
بالأمكنة المهجورة
بسنى الحب الغارب
بالقمر الشاحب
وبأعوامى الستة عشر
وبخصلة شقر :
أقسم ألا يسقط قلبي في ..
شرك الهدب الأسود .

ألا أفتح — يوماً هذا الباب الموصد !
- ٣ -

كيف ضعفت في نهاية المطاف ؟

وارنحت في عينيك من عبثي ؟
وكل شيء حولنا يُملأ علينا أن نخاف ؟!
.. لكنني أنزع قلبي من نعومة البدء
ومن ليونة الدفء ..
وأحتسى — كالسلفاة — بالغلاف !!

فصل من قصة حب

لها حقيقة مدلاة ، وشعر غجری !
(عرفت عنها القصص الكثيرة :
على أريكة القطار ..
ضاجعها اثنان ،

وخلف سائر الغارات في الميدان .. في الظهيرة .
.. وضاجعتها امرأة على البلاج الذهبي
وجسمها الخارج من محارة البحر ..
مُنْذَى بالأللء الصغيرة !)

• • •

حين التقينا : لم تسل من أنت ..
أو من أين ؟!
وقبلتني خلصة ونحن في المترو ..

إذا انفلت من يديها

وهي في استغراقها !!

وصار بيتي بيتنا معاً ، وصار ..

أرجوحة وثيرة .

وصارت الألفة ثوباً واحداً

نلبسه تحت جلودنا

فلا يبلى ..

ولا يلحقه الغبار !

عارية — إلا من الحب — تروح ونحيء

يأتى غناؤها بصوتها الدافئ

وهي ترش الماء في الحمام ،

أو .. جالسة على الأريكة الأنيقة

وهي تُسوى شعرها ،

أو .. وهي عند النار

تُعد فيها قهوة الإفطار

أو .. تمنح الرونق للأشياء

في لمستها الخبيزة

تكوى المناديل الحريئة .. والتثورة

أو تمسح الغبار حول صورة !

مُحاصرني .. واقفين !

وقبلتني وأنا أخرج مفتاحي ..

أمام غرفتي الفقيرة !

وقبلتني .. حالماً أغلقت الباب وراء ظهرها ..

لامعة العينين !!

• • •

لا نهذا (اليمامة التي هم بانطلاقها)

ولا انحسار الثوب فوق ساقها

هو الذي حاصرني في الجسد — الجزيرة .

لكنه .. شيء بها .. كأنه اليتيم ..

كأنه الفرار ..

ينوب ما بين ذراعي : فتبدأ السريرة

وتلتوى الأنامل البيضاء حول كَتفي ..

كأنما نحن : الغريق .. والحطام الحشيشي !

تمسك بي ..

في لحظة احتراقها ..

في لحظة التخلي عن عناقها !

تمسك بي ..

حتى مع استرخاء النوم القصيرة

الهجرة الى الداخل

أترك كل شيء في مكانه :

الكتاب ، والقنبلة الموقوتة

وقدح القهوة ساخناً ،

وصيدلية المنزل ،

واسطوانة الغناء .

وباب مغفور الفم ،

.. الباب .. وعين القطعة الباقوتة .

أترك كل شيء في مكانه ،

وأعبر الشوارع الضوضاء

مخلفاً خلفي : زحام السوق ..

والنافورة الحمراء ..

والهياكل الصخرية المنحوتة

أخرج للصحراء !

أصبح كلباً دامى الخالب

أنبش حتى أجذ الجنة ،

وها أنا بعد رحيلها المفاجيء

أعمى بلا بصيرة .

فتشت عنها كل حانات المدينة الكبيرة

وغرف الطلاب ..

والمستشفيات ..

والملاجيء ..

لكنني لم أر غير الوحشة المريرة

وذكرياتها المنتورة

في البيت ، في مكانها ..

تنتظر اليد الأميرة

تنتظر الخيط .. الذي ينظم اللآلئ .

• • •

— كأسك !

— حان موعد الاغلاق .

— لم تبق الا قطرة أحيرة .

— كأسك !

.. لن تعيدها الأشواق !!

حتى أقضم الموت الذى يدنس التراب !
أدسُ فى الحفرة وجهى الشرة المحموم
تصبح بوقاً مصمتاً حول فمى المنكفىء المزموم
وصارخاً فى رحم الأرض ..
أصبحُ : يا بساطَ البلد المهزوم ..
لا تسحب من تحت أقدامى ..
فسقط الأشياء ..

من رفها الساكن فى خزانة التاريخ ،
تسقط المسميات والأسماء !
أصرخ .. ليس يصل الصوت
أصرخ .. لا يجيب إلا عرق التربة والسكون والموت
ويستدير حول رأسى الطنين ،
ويلوم الهواء
أسقط واقفاً ..

وخائفاً .
أن يحمل الصدى ندائى للهوائيات ..
فوق أسطح البيوت
أن تفضى الرمال صوتى المضىء ،

صوتى المكبوت !

أبكى إلى أن يستدير الدمع فى الحفرة
أبكى .. إلى أن تهدأ الثورة
أبكى إلى أن ترسخ الحروف فى ذاكرة التراب
أعود ضالاً ..

أتبع الأسلاك ، والدم الركام ،
والدم المنساب
أبحث عن مدينتى التى هجرتها ..
فلا أراها !

أبحث عن مدينتى :

يا لرم العماذ

يا لرم العماذ

يا بلد الأوغاد والأعماذ

رُدّى إلى : صفحة الكتاب

وقدح القهوة .. واضطجعتى الحميمة

فيرجع الصدى ..

كأنه اسطوانة قديمة :

يا لرم العماذ

يا لرم العماذ

رُدِّيْ إليه : صهوة الجواد
وَكُتِبَ السحر ..

وبعضُ الخبزِ في زوَادَةِ السفرِ
فقلبه الذى انشطر

يرقد فوق زهرة اللوتس في المنفى ،
بطالع المكتوب
منتظراً حتى يفورَ الكوب
في يده ،

يدير فوق جسمه رداءه المقلوب
لكي يعود في مواسم الحصاد
أغنية .. أو وَرْدَة
للباحثين عن طريق العودة !

حكاية المدينة الفضية

- ١ -

كنتُ لا أحمل إلا قلماً بين ضلوعى .
كنت لا أحمل إلا .. قلمى .

في يدى : خمسُ مرايا
تعكس الضوءَ (الذى يسرى إليها من دمي)
.. طارِقاً بابَ المدينة :
— « افتحوا الباب »

فما ردُّ الحرسِ
— « افتحوا الباب .. أنا أطلب ظلاً .. »
قبل : « كلاً ،

..

أمطرى يا قبضة الزيد التى تُدعى سُحْبُ
أمطرى رغوتك الجوفاء في كوب الذهب
هذه الأسوار ما رَقَّتْ لدقائق الحزينة
وشعاعُ القبة الفضية الملساء يغل ..
في مراياى الثمينة

آه لو أملك سيفاً للمصراع

آه لو أملك خمسين ذراع :

لتسلمت — بإيماني الهرقلى — مفاتيح المدينة

آه .. لكنى بلا حتى .. مؤونة !

• • •

أيها العشب الذى ينضج حُمى

إننى أنشدُ فى جنبيك .. حلما

(.. واستكانت شفة الوهج على وجهى طويلا ..)

ربما يُفتح هذا الباب يوما

أيها العشب الذى ينضج حُمى

شمسنا مطفأة العينين .. دوما !

يا طريق التلّ (حيث القبة الملساء تبدو ..

صنماً ضخماً تحدى المستحيلا)

يا طريق التلّ :

ما زالت على جنبيك آلاف النفايات ..

لسكان القباب المصمتة

من قمامات البقايا الميتة

وزجاجات مخور فارغة

وكلاب والغة

ورماي ، وورق !

آه .. يا ذكرى الحنين المحترق

آه ، كم كئ — كما كنت — نرشُ النور والشوق النيبلا

وتهدجنا غناء ..

وتهدجنا بكاء ..

وتهدجنا .. فضولا

ثم .. لم تلقَ من الحبّ عدا : باباً بخيلا !!

- ٢ -

فرقعتُ فى الصمت حولى عجلاتُ المركبة

- « أوقِف الخيل »

أطلت :

- « من ترى أنت ؟ »

فأومأت مجيبا

قالت : « اصعدُ »

— « آه يا ذوات العيون الطيبة
كل شيء ينتهز

كل شيء في دمي .. لا يتحدّد
أنا لا أملك حتى كلمات الشكر ..
حتى كلمات الشكر .. ولت !

— « أغريب ؟ »

قلت : ما عدت غريبا
بيتنا كان على ربوة نجمة

كم قرأنا فيه عن سحر لياليك كثيرا
عن جبين يهب العمر تناهيد ورحمة
ورسمنا وجهك المعبود فوق المنزل
وعلى صدر الربيع المقبل

وتعشقناك : حزنا أرجوانيا أميرا
وتعشقناك : شعرا كستنائيا غريبا
وتعشقناك : ثوبا جدلته الحور ..

من زهو المطر

وعشقنا فيك : حتى تحفل المجلوب من وادي القمر !
قالت : « اهدأ ..

سوف تحكي لي هناك .. »

وأشارت نحو قصر القبة المساء ،
ثم استطرذت :

إنه مُلك ألى !

عندما كان (سليمان) وليا
لم يكن يملك هذا القصر ذا المليون باب
قيل مكتوب على جدرانه الماسية الزرقاء ..
أحلام شباب

قيل في الساحة نافورة خلد
وعلى الباب نقوش أثرية .

آه .. يا حراسه .. هذا أنا !!
إرفعوا الأيدي وأدوا لي التحية
ارفعوا المزلاج .. فالركب يسير
« يد مولاي » ..

ومدت يها (بدر البدور)
نصعد السلم : يا معراج ما كنت نبيا !
أنا في البللور حولي في السنا : ألف أنا
قامض يا معراجنا نحو الجنّاح
واعزفي يا جوقة الميلاي لحن الإفتاح !

• • •

ربما تُنفق كلّ العمرِ كى ننقب ثغرة
ليمرّ النورُ للأجيال .. مرّة !
.. .. .

ربما لو لم يكن هذا الجدارُ :
ما عرفنا قيمة الضوء الطليق !!

- ٣ -

شَفَّةٌ ثَلَجِيَّةٌ فى جِبهتى تسرى .. مُلَحَّةٌ
« قد أتى الصبحُ ... فقم »
شدّنى السيفُ من أشهى حُلُمٍ
حاملًا أمرَ الأميرة

« أنا يا مسرورُ معشوقُ الأميرة
ليلةً واحدةً تُقضى .. بدّم ؟!
يا ترى من كان فينا شهريار ؟!
أنا يا مسرورُ .. »

(مسرورُ على الباب : رخام)
« أنا يامسرورُ لم أسعد من الدنيا بفرحة
أنا لم أبلغ سوى عشرينَ عامٍ »

سكرت كاساتنا من مخر بابل
ألف خيط فى دمانا .. يستبدّ
« آه يا سيدى : أنتِ ملكٌ ..
أنا لأحمل إلا قلمًا بين ضلوعى ..
فخذيه .. إنه أئمن ما عندى .. خذيه »
ومشت راحتها فوق جينى ،
هتف لى : « شهريار »

« شهرزادى : أسكى شَهْدَ الرحيق المتواصل
ثم قصّى من حكاياك الجديدة
من زمانٍ لم أعُد أسمع أشياء جديدةً
أسرى .. »
« ليلك يا مولائى .. قالوا »

.. .. .
ثم لم تملك قِوانا
وعلى الجدران لوحات فريدة
لرغيف .. وزجاجاتٍ من الخمر .. وراع ..
« قطع !

(آه .. ما أقسى الجدارُ
عندما ينهض فى وجه الشروق !

خذ ثيابی .. خذ مراياى المنيرة ..
— حسناً ، فاهرب من الباب الذى فى آخر الممشى
ولا ترجع هنا »

يا طريق التلِّ حيث القيةُ المساء .. خلفى
حيث مازالت على جنبيك آلاف النفايات ..
لسكان المدينة :

الكلابُ الوالغة ..

وزجاجاتُ الخمور الفارغة ..

وأنا .. أحمل أقدامى الحزينة !!

الضحك فى دقيقة الحداد !

.. ووقفنا فى العراء
ببقايا أغممة .

انتظرنا ان يمرَّ الشعراء

ربما يمنحنا دفء الغناء

ربما .. ليلة حبِّ واحدة .

وتنصَّتنا لوقع الخطو ، غربلنا الهواء

لم يكن إلا .. سكون الصَّحراء

وطنين الأفتدة !

• • •

عالمٌ تحت الصَّفر .. صفَّر اليَد جاء

حين كنا فى ضمير الليل روحاً مجهدة .

طَرَّق الباب ، ونادى فى حياء

'فاستدرنا في فراش النوم ،
أَحْكَمْنَا الغطاءَ
وتركناه لهبَّات الرياح الباردة .

• • •

كنتُ في المقهى ، وكان الببغاء
يقرأ الأنباء في فئران حقل القمح ،
فوق القرْدَة
وهي تجترّ التراجيل ، وترنو للنساء .

.. ..
(— رفعُ أثمان جميع الأسمدة)

.. ..
.. النساء القططُ — الأفراسُ — سيمانُ العشاء
وعيونُ الرغبةِ الفئرانُ تبتلُّ بأصداء المواء .

.. ..
(— رفعُ سعر الصوف ..)

.. .. ما من فائدة !

كادت السيارةُ الحمراءُ أن تقصم ظهر السيدة
والنساء — القططُ — الأزياء يخلعن الرداء
.. ..
(— نائرٌ يُقتلُ في طهران بالأمس — رئيسُ الوزراء)

.. ..

رقعة الشطرنج : مات الشاهُ ، دورُ الأبتداء ..
هزم الأبيضُ فيه أسودَه
حين كنّا في ضمير الليل روحاً مجهدة .

.. ..

تلعقُ الفئرانُ في الجُحر ترابَ الإشتهاء
وهي تجترُّ التراجيلُ ، وترنو للنساء
النساء — القططُ الكسلى ،

.. ..

.. .. (اشتباكُ عسكريٍّ في المساء)

برهةً : ترتفعُ الأعينُ عن طاولة الزهر وموسيقى النساء
تُبرقُ النظرة من تحت الجفون الخامدة

.. ..

(مجلسُ الأمنِ يُوالى ..)

.. .. ويعود الإغناء

تجلس العينُ على نقش البلاطِ القرفصاءُ
ثم تنساهُ ، وتطويها فتونُ العريضة !!
قال لى :

« ها هو بهو الأعمدة »

..

من هنا مرّت خيولُ الخيلاء
من هنا مرّت .. فلم يُدفن لها قتلى ،
ولم تُحقن دماء .

حطّت الحداةُ فوق المائدة
رفع النسرُ عن الشمس . يَدُهُ
فهوْث ، والأرضُ غطّاها الوباءُ .

..

نقشةُ الجدرانِ فى قلبي ،

وفى عيني الرمالُ الراقدة

الرمالُ الرابضاتُ — اليومَ — من حول البناء
الرمالُ — الندمُ الحارقُ لى خبزِ وماء .

يا بقايا المومياء :

نحن أسبلنا العيونَ الرميّة

حين أنكرناكِ قبل الفجرِ ..

(والفجرُ إلى اللحظة لم يأتِ ،)
وجاء ..

بدلاً منه : الوباءُ ،

كلما استشرّفت النظرةُ أفقَ النور : شمتَ جسده
فراخت .. مُقعّدة ،

وانتظرنا الصيفُ فى فصل الشتاء

واغتسلنا ننشُدُ البرءَ نهارَ الأربعاء

ودعونا الله أن يكشف عنا الغمّة المتعقّدة :

أعطنا ليلة حب واحدة

أعطنا ليلة طهر واحدة

أعطنا ليلة صدق واحدة

وتنسّمنا صدى الدعوة ، غربلنا الهواء

لم يكن إلا .. الوباء

جرباً تحت الجلود :

الظفرُ لا يجدى ..

ولا يجدى الدواء !

جربَ أوغل . حتى الأفئدة !!

° ° °

لا تلوميني .. إذا الطوفانُ جاء
... ..

(١٩٦٩)

ووقفنا في العراء
ببقايا أعمدة ..

وتلفَّتْنا ، فأبصرنا عظامَ الشهداء
تتلوى في رمالِ الصَّحراء

تقصد النيلَ .. لكي يمنحها جرعة ماء
فسقاها .. كَمَدَه !

ورأينا في مرايا مائه أوجهنا ..

كنا عراةَ تعساء

خلفنا يصطكُ بابُ المصيصة .

.. والشفاهُ المرغياتُ المزبدة .

تبارى في الهتافاتِ ،

تدقُّ المنضدةُ

ثم تنسلُّ اذا انفضَّ البكاء

تتلهى بالصدور الناهدةُ

في حوانيت الشواءِ ،

.. ..

.. ..

يا عصافير الشتاء :

(بيان)

أيها السادة : لم يبقَ اختيارٌ
سقط المهرُ من الإعياء ،
وانخلت سيورُ العربةِ
ضاقَت الدائرةُ السوداءُ حول الرقبةِ
صدرنا يلمسه السيفُ ،
وفي الظهير : الجدار !

..

أيها السادة : لم يبقَ انتظارٌ
قد منعنا جزيّة الصمتِ لمملوكٍ وعبدٍ
وقطّعنا شعرةَ الوالى « ابنِ هند »
ليس ما نخسره الآن ..

سوى الرحلةِ من مقهى إلى مقهى ..
ومن عارٍ .. لعارٍ !!

- ١ -

على محطات القُرى ..
ترسو قطاراتُ السهادِ
فتتطوى أجنحةُ الغبارِ فى استرخاءةِ الدُّنُو
والنسوةُ المتشحاتُ بالسوادِ
تحت المصابيح ، على أرصفةِ الرسو
ذابت عيونهن فى التحديق والرُّنُو
علَّ وجوه الغائبين منذ أعوام الحدادِ
تشرقُ من دائرةِ الأحزانِ والسلُو
..
ينظرون .. حتى تتآكل العيونُ
تتآكل الليالى ،
تتآكل القطاراتُ من الرواج والغدُو
والغائبون فى ترابِ الوطنِ — العدو
لا يرجعون للبلاد ..
لا يخلعون معطفَ الوحشةِ عن مناكِبِ الأعيادِ !

نافورة حمراء .

طفل يبيع الفلّ بين العربات .

مقتولة تنتظر السيارة البيضاء .

كلب يحك أنفه على عمود النور .

مقهى ، ومذباغ ، وترّد صاخب ، وطاولات .

ألوية ملوئة الأعناق فوق الساريات .

أندية ليلية .

كتابة ضوئية .

الصحف الدائمة العنوان .. يبيض الصفحات .

حوائط ، ومُلصقات ..

تدعو لرؤية (الأب الجالس فوق الشجرة)

والثورة المنتصرة !

إيقاعات :

سرحان يا سرحان

والصمت قد هدك

حتى متى وحدك

يخفرك السجان ؟

.. .. .

نقتل ، أو نُقتل

هذا الخيار الصعب

وشلنا بالرعب ..

تردّد العزل

.. .. .

في البيت ، في الميدان

نقتل يا سرحان !

أنجرة الشاي تدور في الفناجين ، ونشرّب

يلتمّ شمل العائلة

.. إلا الذى فى الصحراء القاحلة

يرقدُ في أمعاء طائرٍ وذئبٍ

(يهبطُ من صورته المقلبه

يلتفُّ حول رأسه الدامي شريطُ الحزنِ

يجلسُ قربَ الركنِ

يصفى إلى ثرثرة الأفواه والملاعق المُبتدلة

ينشقُّ في وقفته .. نصفين

يصبُّ في منتصف الفئجانِ .. قطرتين
من دمه ،

ينكسرُ الفئجانُ .. شظيتين)

ينكسرُ النسيانُ

وهو يعود باكباً إلى إطارِ الصورة المُجللة
بآية القرآن !

إيقاعات :

الدمُّ قبلَ النومِ

نلبسه .. رداء

والدمُّ صارَ ماء

يراقُ كلُّ يومٍ

الدمُّ في الوسائدِ

بلونه الداكنُ

واللبنُ الساخنُ

تبيعه الجرائدُ

اللبنُ الفاسدُ

اللبنُ الفاسدُ

اللبنُ الفاسدُ

يُخفي الدمُّ — الشاهدُ

- ٤ -

أموتُ في الفراشِ .. مثلما تموتُ العيرُ ،

أموتُ ، والنفيرُ ..

يدقُّ في دمشق ..

أموتُ في الشارعِ : في العطوي والأزياء

أموتُ ، والأعداءُ ..

تدوسُ وجهَ الحقِّ .

« وما يجسمى موضع إلا وفيه طعنة برمخ »
.. إلا وفيه جرح ،
إذن .

« فلا نامت عيون الجبناء »

١٩٧٠

لا وقت للبكاء

لا وقت للبكاء .

فالعلم الذى تنكسيته .. على سراق العزاء
منكس في الشاطئ الآخر ،
والأبناء ..

يُستشهدون كى يقيموه .. على « نبة » ،
العلم المنسوج من حلاوة النصر ومن مرارة النكبة
خيطة من الحب .. وخيطين من الدماء
العلم المنسوج من خيام اللاجئين للعزاء
ومن مناديل وداع الأمهات للجنود :
في الشاطئ الآخر ..

ملقى في الثرى ..

ينهش فيه الدود ،

ينهش فيه الدود .. واليهود

فانخلعى من قلبك المفتود

مقاتلين .. فمقاتلين .. في الحَلَبَةِ .

• • •

الشمسُ (هذه التي تأتي من الشرق بلا استحياء)

كيف تُرى تُمرُّ فوق الضفة الأخرى ..

ولا تحيُّ مُطْفَأَه ؟

والنسمَةُ التي تُمرُّ في هُبُوبها على حُجُوم الأعداء

كيف تُرى تُشْمُها .. فلا تسدُّ الأنف ؟

أو تحترقُ الرئة ؟

وهذه الخرائطُ التي صارتُ بها سيناء

عَبْرِيَّةُ الأسماء

كيف نراها .. دون أن يصيبنا العمى ؟

والعارُ .. من أُمُتنا السَّجُرَاء ؟

.. والطفلةُ الصغيرةُ العذبة

تُطلِّقُ — فوقَ البيتِ — « طيارئُها » البيضاء

كيف تُرى تكتُبُ في كُرَّاسَةِ الإنشاء

عن بيتها المهْدومِ فوق الأب .. واللعبة ؟

وأُمِّي التي تظلُّ في فناء البيت مُتَكَبِّة

فها على أبوابك السبعة ، يا طَبِيبُهُ ..
باطِيبَةُ الأسماء :

يُقَعَى أبو الهول ،

وَتُقَعَى أُمَّهُ الأعداء

مجنونة الأنياِبِ والرغبة ..

تشربُ من دمائِ ابنائكِ قربةً .. قربةً

تفرشُ أطفالكِ في الأرضِ بساطاً ..

للمدْرَعاتِ والأحذيةِ الصلبة

وأنتِ تبكين على الأبناء ،

تبكين ؟

يا ساقيةَ دائرةٍ ينكسر الحنينُ ..

في قلبها ، ونيلك الجارى على خَدِّ النجوم

يجرى دموع

ضفافه : الأحزانُ والغربة ،

تبكين ؟ مَنْ تبكين ؟

وأنتِ طولَ العمر — تشقين ، وتحصدين ..

مرارةَ الحنية

وأنتِ — طولَ العمر — تبقين ، وتنجين ..

مقروحة العينين ، مسترسلة الرثاء
تنكث بالعود على التربة :

رأيثها : الخنساء

ترثى شبابها المستشهدين في الصحراء .

رأيثها : اسماء

تبكى ابنها المقتول في الكعبة ،

رأيثها : شجرة الدر ..

ترد خلفها الباب على حثائن (نجم الدين)

تعلق صدرها على الطعنة والسكين

فالجند في الدلتا

ليس لهم أن ينظروا إلى وراء

أو يدفنوا الموتى

إلا صيحة الغد المنتصر الميمون

.. .. .

(.. والتين والزيتون

وطور سينين ، وهذا البلد المحزون

لقد رأيث يومها : سفائن الإفرنج

تغوص تحت الموج .

وملك الإفرنج

يغوص تحت السرج .

وراية الإفرنج

تغوص ، والأقدام تفرى وجهها الموعج ،

.. وها أنا — الآن — أرى في غدك المكنون :

صيفاً كثيف الوهنج

ومدناً ترتج

وسقناً لم تتج

ونجمة تسقط — فوق حائط المبكى — إلى الـ

وراية (العقاب)

ساطعة في الأوج ..)

• • •

والتين والزيتون

وطور سينين ، وهذا البلد المحزون

لقد رأيث ليلة الثامن والعشرين ..

من سبتمبر الحزين :

رأيت في هتاف شعبي اجريح

(رأيت خلف الصورة)

وجهك .. يا منصوره ،

وجه لويس التاسع المأسور في يدي صبيح

.. .. .

رأيت في صبيحة الأول من تشرين

جندك .. يا حطين

يكون ،

لا يدرون ..

أن كل واحد من الماشين

فيه .. صلاح الدين !

العهد الآتي

(٢٨ سبتمبر ١٩٧٠)

وقال الرب الاله هو ذا الانسان قد صار كواحد متآعرة
الخير والشر .

العهد القديم

تكم ٣ : ٢٢

مملكتي ليست من هذا العالم . لو كانت مملكتي من هذا العالم
لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود .

العهد الجديد

يو ١٨ : ٣٦

أبانا الذى فى المَبَاحِثِ . نحن رعاياكَ . باقى
لكَّ الجبروتُ . وباقى لنا الملكوتُ . وباقى لمن
تَحْرُسُ الرَّهْبُوتُ .

• • •

تفرَّدتَ وحدك باليسر . إن اليمينَ لفي الحُسْنِ .
أما اليسارُ ففي القُسْرِ . إلا . الذين يُمَاشُونَ .
إلا الذين يَمِيشُونَ يَمُخِشُونَ بالصَّحِيفِ المشترَعةِ
العيونَ .. فَيَمُخِشُونَ . إلا الذين يَمُشُونَ . وإلا
الذين يُوشُونَ ياقات قمصانهم برباط السكوت !
تعاليتَ . ماذا يهْمُكَ ممن يذمُّكَ ؟ اليوم يومك
يرق السَّجِينُ إلى سُدَّةِ العرشِ ..
والعرشُ يصبح سَجناً جديداً وأنت مكانك . قد

يَتَبَدَّلُ رَسْمُكَ وَاسْمُكَ . لَكِنْ جَوْهَرُكَ الْفَرْدُ
لَا يَتَحَوَّلُ . الصَّمْتُ وَشَمُكَ . وَالصَّمْتُ وَشَا
وَالصَّمْتُ — حَيْثُ التَّفَقُّ — يَرِينُ وَيَسْمُكَ
بَيْنَ خِيوطِ يَدَيْكَ الْمَشْبُكَيْنِ الْمَصْمُغَتَيْنِ يَلْفُ
الْفَرَاشَةَ .. وَالْعَنْكَبُوتُ .

• • •

أَيُّهَا الَّذِي فِي الْمُبَاحِثِ . كَيْفَ تَمُوتُ .
وَأَغْنِيَةُ الثَّوْرَةِ الْأَبَدِيَّةِ
لَيْسَتْ تَمُوتُ ؟!

سفر التكوين

(الاصحاح الأول)

فِي الْبَدءِ كُنْتُ رَجُلًا .. وَامْرَأَةً .. وَشَجَرَةً .
كُنْتُ أَبًا .. وَابْنًا .. وَرُوحًا قُدُّسًا .
كُنْتُ الصَّبَاحَ .. وَالْمَسَاءَ ..
وَالْحَذَقَةَ الثَّابِتَةَ الْمُدَوَّرَةَ .
وَكَانَ عَرْشِي حَجَرًا عَلَى صَفَافِ النَّهْرِ
وَكَانَتِ الشَّيْءُ ..
تَرَعِي ؟ وَكَانَ النُّحْلُ حَوْلَ الزَّهْرِ ..
يَطْنُ ؟ وَالْإِوْرُ يُطْفِئُ فِي بَحِيرَةِ السَّكُونِ ،
وَالْحَيَاةُ ..
تَنْبُضُ — كَالطَّاحُونَةِ الْبَعِيدَةِ !
حِينَ رَأَيْتُ أَنَّ كُلَّ مَا أَرَاهُ
لَا يَنْقُذُ الْقَلْبَ مِنَ الْمَلَلِ !

(مبارزاتُ الديكة)

كانت هي التسليّة الوحيدة

في جلستي الوحيدة

بين غصونِ الشجرِ المشتبكة !

(الاصحاح الثاني)

قلتُ لنفسي : لو نزلت الماء .. واغتسلت .. لانقسمتُ

(لو انقسمت .. لازدوجت .. وابتمت)

وبعدما استحمت ..

تناسخَ الزهرُ وشاحاً من حرارة الشفاه

لَقَفْتُ فيه جسدي المصطك .

(وكان عرشي طافياً .. كالفلك)

ورفُ عصفورٍ على رأسي ؛ وحطَّ بِنَفْضِ البَللِ

حدَقْتُ في قرارة المياه

حدَقْتُ ؛ كان ماأراه

وجهي .. مكللاً بتاج الشوك !

(الاصحاح الثالث)

قلتُ : فليكن الحبُّ في الأرض ؛ لكنه لم يكن !

قلتُ : فليذبِ النهرُ في البحرِ ، والبحرُ في السُّحْبِ ،

والسُّحْبُ في الجذبِ ، والجذبُ في الخصبِ ، ينبت

خبزاً ليسندَ قلب الجياحِ ، وعشباً لماشية

الأرضِ ، ظلاً لمن يتغرَّبُ في صحراء الشجنِ .

ورأيتُ ابنَ آدمَ — ينصبُ أسواره حول مزرعة

اللهِ ، يتناغٍ من حوله حرساً ، ويبيع لإخوته

الحبِزَ والماءَ ، يحتلبُ البقراتِ العجافَ لتعطي اللبنُ .

قلتُ فليكن الحبُّ في الأرض ، لكنه لم يكن .

أصبح الحبُّ ملكاً لمن يملكون الثمن .

... ..

ورأى الربُّ ذلكَ غيرَ حسن !

... ..

قلتُ : فليكن العدلُ في الأرض ؛ عَيْنَ بَعَيْنٍ وَسِنِّ سِنِّ .

قلتُ : هل يأكلُ الذئبُ ذنباً ، أو الشاةُ شاةً ؟

ولا تضعُ السيفَ في عُنقِ اثنين : طفلٌ .. وشيخٌ مُ

ورأيت ابن آدم يزدي ابن آدم ، يشعل في
المدن النار ، يغرس خنجره في بطون الحوامل ،
يلقي أصابع أطفاله علفاً للخيول ، يقص الشفاة
وروداً تزين مائدة النصر .. وهي تئن .
أصبح العدل موتاً ، وميزانه البندقية ، أبنائه
صلبوا في الميادين ، أو شتقوا في زوايا المدن .
قلت : فليكن العدل في الأرض ، لكنه لم يكن .
أصبح العدل ملكاً لمن جلسوا فوق عرش الجماجم
بالطليسان —

الكفن .

....
ورأى الرب ذلك غير حسن !

• • •

قلت : فليكن العقل في الأرض ، تُصغى إلى صوته المثزن .
قلت : هل يبتني الطير أعشاشه في فم الأفعوان ،
هل الدود يشكن في لب النار ، والبوم هل
يضع الكحل في هدب عينيه ، هل يبذر الملح

من يرتجى القمح حين يدور الزمن .

ورأيت ابن آدم وهو يُجن ، فيقتلع الشجر المتطاوّل ،
ييصق في البئر ، يلقي على صفحة النهر بالزيت ،
يسكن في البيت ؛ ثم يُخبيء في أسفل الباب
قبلة الموت ، يؤوي العقارب في دفاء أضلاعه ،
ويورث أبنائه دينه .. واسمه .. وقميص الفتن .
أصبح العقل مغترباً يتسوّل ، يقذفه صبيّة
بالحجارة ، يوقفه الجنّد عند الحدود ، وتسحب
منه الحكومات جنسيّة الوطني .. وتُدبرجه في
قوائم من يكرهون الوطن .

قلت : فليكن العقل في الأرض ، لكنه لم يكن .
سقط العقل في دورة النفى والسجن .. حتى يُجن

....
....
....

ورأى الرب ذلك غير حسن !

(الاصحاح الرابع)

قلت : فلنكن الريح في الأرض ؛ تكنس هذا العفر
قلت : فلنكن الريح والدم ... تقتلع الريح هسهة

الورق الذابل المُتَشَبِّثُ ، يندلع الدَّمُ حتى
الجنود فيزهرها ويظهرها ، ثم يصعد في
السُّوق .. والورق المُتَشَابِكُ . والتمر المُتَدَلِّي ؛
فيعصره العاصرون نبيذاً يزغرد في كُلِّ دُنْ .
قلتُ : فليكن الدَّمُ نهراً من الشَّهيد ينساب تحت فراديس عُنْدَ
هذه الأرضِ حَسَناءَ ، زينتها الفقراءُ ، لهم تَطَطُّيبُ ،
يعطونها الحُبَّ ، تعطيهما النسل والكبرياءُ .
قلتُ : لا يسكن الأغنياءُ بها . الأغنياءُ الذين
يَصُوغُونَ من عَرِقِ الأَجْرَاءِ نُقُودَ زنا .. ولآلئَ
تاجٍ . وأقراطٍ عاجٍ .. ومسبحةٍ للرياءِ .
إننى أولُ الفقراءِ الذين يعيشون مُعْتَرِينَ ،
يموتون مُحْتَسِبِينَ لدى العزاءِ .
قلتُ : فلتكن الأرضُ لى ... ولَهُمْ !
(وأنا بينهم)
حين أخلع عني ثيابَ السماءِ .
فأنا أَتَقَدَّسُ — فى صرخة الجوع — فوق الفراش الحَشِينُ !

(الاصحاح الخامس)

حَدَّقْتُ فى الصخر ؛ وفى اليَبْنُوعِ
رَأَيْتُ وجهى فى سِمَاتِ الجُوعِ !
حَدَّقْتُ فى جَبِينِ المَقْلُوبِ
رَأَيْتُنِي : الصليبَ والمصلوبَ
صرختُ — كنتُ خارجاً من رَحِمِ الهَنَاءِ
صرختُ ؛ أطلبُ البراءةَ
كَيْتُونِي : مشنفتي
وحَبْلَى السُّرَى :
حَبْلُهَا
المَقْطُوعُ !

(الاصحاح الثاني)

دَقَّتْ السَّاعَةُ الْمُتَعَبَةَ

رَفَعَتْ أُمُّهُ الطَّيِّبَةَ

عَيْنَهَا ..

(دَفَعَتْهُ كُحُوبُ الْبِنَادِقِ فِي الْمَرْكَبَةِ !)

... ..

دَقَّتْ السَّاعَةُ الْمُتَعَبَةَ

نَهَضَتْ ؛ تَسَقَّتْ مَكْتَبَهُ ..

(صَفَعَتْهُ يَدٌ ..

— أَذْخَلَتْهُ يَدُ اللَّهِ فِي التَّجْرِبَةِ —)

... ..

دَقَّتْ السَّاعَةُ الْمُتَعَبَةَ

جَلَسَتْ أُمُّهُ ؛ رَتَقَتْ جُورَبَهُ ..

(وَخَرَّزَتْهُ عَيُونُ الْمُحَقِّقِ ..

سفر الخروج
(أغنية الكعكة الحجرية)

(الاصحاح الأول)

أَيُّهَا الْوَاقِفُونَ عَلَى حَافَةِ الْمَذْبَحَةِ

أَشْهَرُوا الْأَسْلِحَةَ !

سَقَطَ الْمَوْتُ ؛ وَانْفَرَطَ الْقَلْبُ كَالْمَسْبُوحَةِ

وَالدَّمُ انْسَابَ فَوْقَ الْوِشَاحِ !

الْمَنَازِلُ أَضْرَحَتْ ،

وَالزَّنَازِنُ أَضْرَحَتْ ،

وَالْمَدَى .. أَضْرَحَتْ

فَارْفَعُوا الْأَسْلِحَةَ

وَاتَّبِعُونِي !

أَنَا نَدَمُ الْغَيْدِ وَالْبَارِحَةِ

رَايَتِي : عَظَمَتَانِ .. وَجُمُجُمَةٌ ،

حتى تَفْجَرَ من جلده الدَّمُ والأجوبة !)

... ..

دقت الساعة المتعبة !

دقت الساعة المتعبة !

(الاصحاح الثالث)

عندما تهبطين على ساحة القوم ؛ لا تَبْدِيْ بالسلام
فهم الآن يَقْتَسِمُونَ صغارِك فوق صحاف الطعام

بعد أن أشعلوا النار في العُشِّ ..

والقش ..

والسنبلة .

وغداً يَذْبَحُونَكَ .. بحثاً عن الكنز في الحوصلة !

وغداً تَقْتَدِيْ مُدُنُ الألف عام .

مدناً .. للخيام

مدناً ترتقى دَرَج المقصلة !

(الاصحاح الرابع)

دقت الساعة القاسية

وقفوا في ميادينها الجَهَنِمَةِ الخاوية

واستداروا على دَرَجَاتِ النَّصَبِ

شجراً من لَهَبٍ

تعصف الريحُ بين ورُيقاته الغضة الدانية

فَيَنْبُتُ : « بلادى .. بلادى »

(بلادى البعيدة !)

... ..

دقت الساعة القاسية

« انظروا » ؛ هتفت غانية

تتمطى بسيارة الرقم الجُمُرَكِيِّ ؛

وتتمت الثانية :

سوف ينصرفون إذا البرْدُ حُلَّ .. وَرَانَ التعب

... ..

دقت الساعة القاسية

كان مذياعٌ مقهى يذيع أحاديثه البالية

عن دُعاة الشغب

وهم يستديرون ؛

يشتلون — على الكعكة الحَجَرِيَّة — حول النَّصَبِ

شمعدانٌ غَضَبٌ

الوداع !

(الاصحاح السادس)

دقت الساعة الخامسة

ظَهَرَ الجندُ دائرةً من دُرُوعٍ وخوذات حربٍ

ها هُم الآنَ يقتربون رويداً .. رويداً ..

يحيثون من كُلِّ صَوْبٍ

والمُعْتُون — في الكعكةِ الحجريةِ — يَنْقَبُضُونَ

وَيَنْفَرُجُونَ

كنبضة قلب !

يُشعلون الخناجرَ ،

يستدفئون من البرد والظلمة القارسة

يرفعون الأناشيد في أوجه الحرس المقرب

يشكون أياديهم العضة البائسة

لتصير ساجداً يصدُّ الرصاص !

الرصاص ..

الرصاص ..

وآه ..

يتوهج في الليل ..

والصوتُ يكتسحُ العنمةَ الباقيةَ

يَتَغَنَّى لليلةِ ميلادِ مصر الجديدة !

(الاصحاح الخامس)

أذكريني !

فقد لَوَّنتي العناوينَ في الصُّحُفِ الخائنة !

لَوَّنتني .. لألئى منذ الهزيمة لا لونَ لي

(غير لونِ الضياغ)

قبلها ؛ كنتُ أقرأ في صفحة الرمل

(والرملُ أصبحَ كالعملِ الصعبةِ ،

الرملُ أصبحَ أبسطَ .. تحت أقدام جيش الدفاع)

فأذكريني ؛ كما تذكرين المَهْرَبَ .. والمطربَ العاطفي ..

وَكَاَبَ العقيد .. وزينة رأس السنة .

أذكريني إذا نَسِيتي شُهُودَ العيانِ

وَمَضْبَطَةَ البرلمانِ

وقائمة التهم المعلنة

والوداع !

« نحن فداؤ

وتسقط حنجرة مُحَرَّمَةٌ

معها يسقط اسمك — يا مصر — في الأرض

لا يَبْقَى سوى الجسد المتهشم والصرخات

على الساحة الدامسة !

دقت الساعة الخامسة

... ..

دقت الخامسة

... ..

دقت الخامسة

... ..

وتَفَرَّقَ مأوُك — يانهر — حين بَلَغَتِ المَصَب !

• • •

المنازل أضرحه ، والزنازن

أضرحه ، والمدى أضرحه

فارفعوا الأسلحة !

ارفعوا

الأسلحة

سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس

(بكائيات)

(الاصحاح الأول)

عائدون ؛ وأصغر إخوتهم ذو العيون الحزينة

يتقلب في الجُب ،

أجهل إخوتهم .. لا يعود !

وعجوز هي القدس (يشتعل الرأس شيبا)

تشم القميص . فتَبِيضُ أعينها بالبكاء ،

ولا تخلع الثوب حتى يحىء لها نبأ عن فتاها البعيد

أرض كنعان — إن لم تكن أنت فيها — مراعى من الشوك

يُورثها الله من شاء من أمم ،

فالذى يحرس الأرض ليس الصيارف

إن الذى يحرس الأرض رب الجنود

أه من فى غيد سوف يرفع هامته

غير من طأطأوا حين أَرَّ الرصاص ؟

ومن سوف يخطب — في ساحة الشهداء —
سوى الجبناء ؟
ومن سوف يُغوى الأرامل إلا الذى
سيؤول اليه راج المدينة ؟!!

(الاصحاح الثانى)

أرشق في الحائط حد المطواه
والموت يهت من الصحف الملقاة
اتجزأ في المرأة
يصفعنى وجهى المتخفى تحت قناع النفط
« من يجرؤ أن يضع الجرس الأول فى عنق القط ؟ »

(الاصحاح الثالث)

منظر جانبي لفيروز
(وهى تطل على البحر من شرفة الفجر)
لبنان فوق الخريطة :
منظر جانبي لفيروز ،
والبنديقة تدخل كل بيوت (الجنوب)

مطر النار يهطل ، يتقب قلباً .. فقلباً
ويترك فوق الخريطة ثقباً .. فثقباً
وفيروز فى أغنياء الرعاة البسيطة
تستعيد المرائى لمن سقطوا فى الحروب
تستعيد الجنوب !

(الاصحاح الرابع)

البسمة حلم
والشمس هى الدينار الزائف
فى طبق اليوم
(من يمسخ عنى عرق فى هذا اليوم الصائف)
والظل الخائف
يتمدد من تحتى ؛
يفصل بين الأرض .. وبينى !
وفضاءلت كبحرف مات بأرض الخوف
(حاء .. باء)
(حاء .. راء .. ياء .. هاء)
الحرف : السيف
مازلت أروء بلاد اللون الداكن

ابحث عنه بين الاحياء الموتى والموتى الاحياء
حتى يرتد النبض إلى القلب الساكن
لكن .. !!

(الاصحاح الخامس)

منظر جانبي لعمان عام البكاء
والحوادث مرشوشة ببقايا دم لعفته الكلاب
ونهود الصبايا مصايح مطفأة فوق أعمدة الكهرباء
منظر جانبي لعمان ؛
والحرس الملكي يفتش ثوب الخليفة
وهو يسير إلى « إلباء »
وتغيب البيوت وراء الدخان
وتغيب عيون الضحايا وراء النجوم الصغيرة
في العلم الأجنبي ،
ويعلو وراء نوافذ « بسمان » عزف البيان

(الاصحاح السادس)

اشترى في المساء

قهوة ، وشطيرة

واشترى شمعتين . وغدارة ؛ وذخيرة
وزجاجة ماء

... ...

عندما أطلق النار كانت يد القدس فوق الزناد
(ويد الله تخلع عن جسد القدس ثوب الحداد)
ليس من أجل أن يتفجر نفط الجزيرة
ليس من أجل أن يتفاوض من يتفاوض
من حول مائدة مستديرة
ليس من أجل أن يأكل السادة الكستناء .

(الاصحاح السابع)

ليغفر الرصاص من ذنبك ما تأخر
ليغفر الرصاص .. ياكسنجر

والقطارات ترحل ، والراحلون
يصلون .. ولا يصلون !

(الاصحاح الثاني)

سنترال :

أعطِ للفتيات

(اللواق يتّمنّ إلى جانب الآلة الباردة

شارداد الخيال)

رقمى . — رقم الموت — حتى أجيء إلى العُرس

ذى الليلة الواحدة !

أعطيه للرجال ..

عندما يلثُمون حبيباتهم فى الصباح ،

ويرتحلون إلى جبهات القتال !

(الاصحاح الثالث)

الشهور زُهورٌ على حافة القلب تنمو

وتُحرقها الشمس ذات العيون الشتائية المطفأة

زهرة فى إناء

توهج فى أوّل الحب بينى وبينك

سفر الف دال

(الاصحاح الأول)

القطارات ترحل فوق قضيبين : ما كان — ماسيكون !

والسماء رماد ، به صنع الموت قهوته ،

ثم ذراه كى تتشقق الكائنات

فينسل بين الشرايين والأفئدة .

كلّ شيء — خلال الزجاج — يقرّ :

رذاذ الغبار على بقعة الضوء ،

أغنية الريح ،

قنطرة النهر ،

سربُ العصافير والأعمدة .

كلّ شيء يقرّ ،

فلا الماء تمسكه اليد ،

والحلّم لا يتبقى على شرفات العيون .

... ..

تصبح طفلاً .. وأرجوحة .. وامرأة .

زهرة في الرداء

تَتَفَتَّحُ أوراقها في حياء

عندما نَتَخَاصَّرُ في المشية الهادئة .

زهرة من غناء

تتورّد فوق كمنجات صوتك

حين تفاجئك القبلّة الدافئة

زهرة من بكاء

تتجمّد فوق شجيرة عينيك في لحظات الشجار الصغيرة ،

أشواكها : الحزن والكرباء .

... ..

زهرة فوق قبر صغير

نحنى ؛ وأنا أنحاشي التطلع نحوك ..

في لحظات الوداع الأخير

تتعرّى ؛ وتلتف بالدمع في كلّ ليل إذا الصمت جاء

لم يعد غيرُها من زهور المساء

هذه الزهرة — اللؤلؤة !

(الاصحاح الرابع)

تحبل الفتيات

في زيارات أعمامهنّ إلى العائلة

ثم يجهبهنّ الزحام على سلّم « الحافلة »

وترام الضجيج !

... ..

تذهب السيدات

ليُعَالِجنَ أسبناهنّ فيؤمن بالوحدة الشاملة !

ويُجِدْنَ الهوى بلسان « الخليج » ؟

... ..

يا أبانا الذي صار في الصيدليات والعلب العازلة

نَجَّنا من يد « القابِلة »

نَجَّنا . حين نَقْضَم — في جنة البؤس — تفاحة العربات

وثياب الخروج !!

(الاصحاح الخامس)

تصرخين .. وتخرقين صفوف الجنود
نتعانق في اللحظات الأخيرة ،

في الدرجات الأخيرة .. من سلم المصقلة .
أتمسك وجهك !

(هل أنت طفلتى المستحيلة أم أُمى الأرملة ؟)
أتمسك وجهك !

(لم أك أعشى ..

ولكنهم أرفقوا مقتلتي ویدی بملف اعترافی
لتنظره السلطات ..

فتعرف أُنّى راجعته كلمة .. كلمة ..
ثم وقّعته يیدی ..

— ربما دسّ هذا المحقق لى جملة تنتهى بى إلى الموت ! —
لكنهم وعدوا أن يعيدوا إلى یدی وعینى بعد
انتهاء المحاكمة العادلة !)

زمن الموت لا ينتهى يا ابنتى الناكلة

وأنا لست أوّل من نبأ الناس عن زمن الزلزلة

وأنا لست أوّل من قال فى السوق :

ان الحمامة — فى العُش — تحتضن القنبلة !

قبلىنى ؛ لأنقل سرّى إلى شفتيك ،

لأنقل شوقى الوحيد

لك ، للسنبلة

للزهور التى تتبرعم فى السنة المقبلة

قبلىنى .. ولا تدمعى !

سحبُ الدمع تحجبني عن عيونك ..

فى هذه اللحظة المثقلة

كثرت بيننا السُتر الفاصلة

لا تُضيفى إليها ستاراً جديداً !

(الاصحاح السادس)

كان يجلس فى هذه الزاوية .

كان يكتب ، والمرأة العارية

تجول بين الموائد ؛ تعرض فنتتها بالثمن .

عندما سألته عن الحرب ، قال لها ..

لا تخافى على الثروة الغالية

فقدوا الوطن

مثلنا يخبثن

مثلنا .. يعيش السِّلَع الأجنبية ،

يكره لحم الخنازير ،
يدفع للبندقية .. والغانية .

.. فيكتب !

... ..

كان يجلس في هذه الزاوية .
عندما مرّت المرأة العارية

ودعاها ؛ فقالت له إنها لن تطيل القعود
فهى منذ الصباح تفتش مستشفيات الجنود
عن أخيها المحاصر في الضفة الثانية
(عادت الأرض .. لكنه لا يعود !)

وحكّت كيف تحمل العبء طيلة غربته القاسية
وحكّت كيف تليس — حين يحىء — ملابسها الضافية
وأرثته له صورة بين أطفاله .. ذات عيد
.. وبكت !!

(الاصحاح السابع)

أشعر الآن أنى وحيد ؛

وأن المدينة في الليل ..

(أشباحها وبنائنها الشاهقة)

سفن غارقة

نهبتها قراصنة الموت ثم رمتها إلى القاع منذ سنين .

أسند الرأس ربّانها فوق حافتها ،

وزجاجة خمر محطمة تحت أقدامه

وبقايا وسمام تمحين .

وتشبّت بحارة الأمس فيها بأعمدة الصمت في الأروقة

يتسلّل من بين أسماهم سمك الذكريات الحزين .

وخناجر صامتة ..

وطحالب نابثة ..

وسلال من القطط النافقة .

ليس ما ينبض الآن بالروح في ذلك العالم المستكين

غير ما ينشر الموج من علم .. كان في هبة الريح

والآن يفرك كفيه في هذه الرقعة الضيقة

سيظلّ على الساريات الكسيرة يخفق ..

حتى يذوب .. رويداً .. رويداً ..

ويصلداً فيه الحنين

دون أن يلمس الريح ثانية ، أو يرى الأرض ،

أو يتنهّد .. من شمسها المحرقة !

(الاصحاح الثامن)

آه .. سيدتي المسبلة

آه .. سيدة الصمت والفتات الودود

لم يكن داخل الشقة المقفلة

غير قيط وحيد .

حين عادت من السوق تحمل سلتها المثقلة

عرفت أن ساعي البريد

مر ..

(في فتحة الباب كان الخطاب

طريحاً ..

ككباب الشهيد !)

قفز القط في الولولة

قفزت من شبابيك جيرانها الأسفلة

... ..

آه .. سيدة الصمت والكلمات الشرود

آه .. أيتها الأرملة !

(الاصحاح التاسع)

دائماً .. حين أمشي ؛ أرى السترة القرمزية

بين الزحام .

وأرى شعرك المتهدل فوق الكتف .

وأرى وجهك المتبدل .. فوق مرايا الخوانيت ،

في الصور الجانبية ،

في نظرات البنات الوحيدات ،

في لمعان خدود المحبين عند حلول الظلام .

دائماً أنتحس ملمس كفك في كل كف .

المقاهي التي وهبتنا الشراب ،

الزوايا التي لا يرانا بها الناس ،

تلك الليالي التي كان شعرك يبتل فيها ..

فتختبئين بصدرى من المطر العصبي

الهدايا التي تنشاجر من أجلها ،

حلقات الدخان التي تتجمع في لحظات الخصام

دائماً أنت في المنتصف !

أنت بيني وبين كتابي ..

وبيني وبين فراشي ..

وبيني وبين هدوني ..

وبيني وبين الكلام .

ذكر يا لئلك سجنى ، وصوتك يجلدى
ودمى قطرة — بين عينيك — ليست تحف !
غامحنى السلام !
امحنى السلام !

(الاصحاح العاشر)

الشوارعُ فى آخر الليل .. آه
أراهم متشحات يتهنهن فى عتبات القبور — البيوت .
قطرة .. قطرة ، تتساقط أدمعهن مصايح ذابلة
تتشبث فى وجنة الليل ثم .. تموت !
... ..
الشوارع فى آخر الليل .. آه
خيوط من العنكبوت .
والمصايح — تلك الفراشات — عالققة فى مخالبها
تتلوى .. فتعصرها ، ثم تتحل شيئا . فشيئا
فتمتص من دمها قطرة .. قطرة ؛
فالمصايح قوت !
... ..
الشوارع فى آخر الليل .. آه

أفاج تمام على راحة القمر الأبدى الصموت .
لَمَعَانُ الجلود المفضضة المستطيلة يغدو مصايح
مسمومة الضوء ، يقفو بداخلها الموت ،
حتى إذا غرب القمر : انطفأت
وغلى فى شرايينها السم
تنزفه قطرة .. قطرة ؛ فى السكون المميت !

... ..
... ..
وأنا كنتُ بين الشوارع وحدى !
وبين المصايح وحدى !
أنصب بالحزن بين قميصى وجلدى
قطرة .. قطرة ؛ كان حى يموت
وأنا خارج من فراديسه ..
دون ورقة توت !!

ممدودة — كالنداء

ومشدودة — كالوتر

... ..
وتظل .. وحيدة !!

المزمور الثانى

قلتُ لها فى الليلة الماطرة :

البحرُ عنكبوت

وأنتِ — فى شراكه — فراشة تموت

وانتفضت كالقطة النافرة

وانتصبت فى خفقان الريح والأمواج

(ثديانٍ من زجاج

وجسدٍ من عاج)

وانفلتت مبحرة فى رحلة المجهول ، فوق الرِّبْد المُهْتَاج

ناديت .. ما ردَّت !

صرخت .. ما ارتدَّت !

وظلَّ صَوْنِي يتلاشى .. فى تلاشيها ..

مزامير

المزمور الأول

أعشق أسكندرية ،

واسكندريةُ تعشقُ رائحةَ البحرِ ،

والبحرُ يعشقُ فاتنةً فى الضفافِ البعيدة !

° ° °

كلُّ أمسيةٍ ؟ تنسلل من جانبي

تتجرَّد من كلِّ أثوابها

وتحلُّ غداثرها

ثم تخرج عاريةً فى الشوارع تحت المطر !

فاذا اقتربت من سريرِ التنهيد والزُرْقَةِ

انطرحت فى مُلاءاته الرغوية ؛

وانفتحت .. تنتظر !

وراء الموجة الكاسرة)

....
....
....
(خاسرة ، خاسرة

إن تنظري في عَيْنِي الغريبة الساحرة
أو ترفعي عَيْنِيكَ نحو الماسية التي تزين التاج !

المزمور الثالث

لفظ البحر أعضاءها في صباح أليم
فرايتُ الكلوم

ورأيتُ أظافرَها الدموية

تتلوى على خصلة « ذهبية »

فحشوتُ جراحاتها بالرمال ،

وأدفأتها بنبذ الكروم ..

....

وتعيشُ معي الآن !

ما بيننا حائطٌ من وجوم

بيننا نسماثُ « الغريم »

كلُ أمسية ..

تسلل في ساعة المد ، في الساعة القمرية

تستريح على صخرة الأبدية

تسمعُ سخرية الموج من تحت أقدامها

وصغير البواخر .. راحلة في السواد الحميم

تتصاعدُ من شفتيها المملحتين رياحُ السموم

تساقط أدمعها في سهوم

والنجوم

(الغريقة في القاع)

تصعدُ .. واحدة .. بعد أخرى ..

فتلقطها

وتعدُّ النجوم

في انتظار الحبيب القديم !

المزمور الرابع

(ترنيمة لشهر يناير)

فجأة .. يَجْفُلُ خطو القلب ،

تهتزُّ الكريّات الرصاصية في سَلْتِه

(هل إصبع الوحدة أم اصبعك المصبوغ بالحناء ؟)

في الخارج أسوار وأمطار ،

غلاف الليل ينشق عن الرعد

غلاف القلب ينشق عن الوجد

مساحات من الضوء الرمادي

أنا النافذة المغلقة السوداء

والنفحة الحمراء

والأسماء

(لاسمى كان مكتوباً على طرف قميصي

قبل أن يعلّق في سلك الخلود الشائك !)

النهر ضميري (ولعينيك انسياب النهر)

ما أقسى انتظاري ! ..

وفؤادي ساعة رملية صفراء

يهوى الرمل في أعماقها شيئاً فشيئاً

ربما للرمل طعم الملح أحياناً .. وطعم الانتظار !!

(المزمور الخامس)

كان فستائك في الصيف من الكتان ،

والزهرة في صدرك بيضاء ،

ولكن الشتاء الآن يكسوك بلون السل والرجس

(حتى ورقة الثوب على فخذيك .. صفراء !)

هل الماء يفيض الآن في البئر ؟

هل الماء يفيض الآن في البئر ؟

أماء ؟ أم دم ؟

(هذا الندى القاتل ذو الوجهين)

كان النأي يمتد من الضفة للضفة

من صدرك إلى صدرك

كان النأي ممتداً

ولون الليل بين البرقالي — الرمادي — السماوي

وفي شعرك غابات من الوحشة والصمت ؛

هوى نجم ؛ وفي الثانية التالية اصطكت يدي

في الشبح العابر

(هل كانت يدي في يدك اليسرى ؟)

وفي الثانية التالية اصطكت يدي في كلمة السجن

على وجه الجدار !!

المزمور السادس

نَحْنُ صَوْتَانِ ..

(إِذْنُ فَالصَوْتُ قَدْ أَصْبَحَ صَوْتَيْنِ ؟)

تَنَزَّهْنَا عَلَى خَطِّ اسْتَوَاءِ الْمَوْتِ ،

لَمَلَمْنَا الْبِنْفَسِجَ

وَتَسَلَّقْنَا شِعَاعَ الزَّهْوِ ، حَلَخَلْنَا مَزَالِجَ الْبَيُوثِ

وَقَدَحْنَا حَجَرَ الْحُبِّ ؛ جَلَسْنَا تَتَوَهَّجَ

فَاحْلَفِي بِاسْمِي ، وَبِاسْمِ الْعَنْكَبُوثِ

بِاسْمِ نَقْشِ الذِّكْرِيَّاتِ الْمُتَعَرِّجِ

وَرَكَامِ الذِّكْرِيَّاتِ السَّرِجِ

أَنهَا وَرَقَةٌ تَوْتُ

سَقَطَتْ عَنْ عَوْرَةِ الصَّيْفِ ،

وَضَلَّتْ تَنْدَحْرَجُ

فَوْقُنَا نَتَفَرَّجُ

(دُونَ أَنْ تُطْرَفَ) حَتَّى سَقَطَتْ فِي النَّهْرِ ..

وَارْتَدَّتْ السَّكُوتُ !

المزمور السابع

جَاءَ الْإِنْسَانُ الْمَيْتُونَ ، يَحْمِلُونَ

كِفَانَهُمْ ؛ أَطْيَارُهُمْ لَيْسَتْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ ؛

يَسْتَفْسِرُونَ :

« مَاذَا أَقَى بَنَا هُنَا !؟ »

أَنْتَ بِكُمْ امْرَأَةٌ خَاطِنَةٌ

نَهَوْدَهَا دَافِقَةٌ

وَلَحْمُهَا مُعْطَرُ النَّكْهَةِ

قَدْ اسْتَدَارَتْ فِي فِرَاشِهَا بَرَهَةً

عَانَقَتْ الْجِدَارَ ، قَبِلَتْ وَجْهَهُ

« يَا أَيُّهَا الْجِدَارُ .. لَا تَبْخُجْ بِمَا تَرَى

وَلَا تُقَلِّعْ عَنِ الَّذِينَ يُولَدُونَ

وَعَمِغَمِ الْجِدَارِ : »

يَا صَدِيقَتِي الطِّفْلَةَ

مَاثَ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ !

... ...

وَمَرَّتِ اللَّيْلَةُ

فَرِمَا كَانَ أَبَاكُمْ الْجِدَارَ ،

رَبَّمَا يَكُونُ !

المزمور الثامن

(شَجْوِيَّة)

لماذا يتابعني أينما سرْتُ صوتُ الكَمَانِ ؟

أسافرُ في القاطراتِ العتيقة ،

(كى أتحدّث للغرباء المُسَيِّين)

أرفع صوتي ليطغى على ضجّة العجلاتِ

وأغفو على نبضاتِ القطارِ الحديديةِ القلبِ

(تهدير مثل الطواحين)

لكنها بغتة .. تتباعد شيئاً فشيئاً

ويصحو نداءُ الكمان !

° ° °

أسيرُ مع الناسِ ، في المهرجانات :

أصغى لبوق الجنودِ الحُجاسِ

يملاً حلقي غبارَ التشييدِ الحماسِ

لكننى فجأةً .. لا أرى !

تتلاشى الصفوفُ أمامي

وينسربُ الصوتُ مبتعداً

ورويداً .. رويداً يعود إلى القلب صوتُ الكمانِ

لماذا إذا ما تبيّنتُ للنوم يَأْتِي الكَمَان ..

فأصغى له آتياً من مكان بعيد

فتصمتُ مهمةً الريح خلف الشبايلِك ،

نبضُ الوسادَةِ في أذني

تراجعُ دقاتُ قلبي ،

وأرحل في مدن لم أرزها

شوارعها فضّة .

وبناياتها من خيوط الأشعة .

ألقي التي واعدتني على ضفّة النهر واقفة !

وعلى كتفها يحطُ الحمامُ الغريبُ

ومن راحتها يغط الحنان !

أحبك ، صارَ الكمانُ كموبٍ بنادق

وصارَ يمامُ الحداثق .

قنابل تسقط في كلِّ آن

... ..

وغابَ الكمان !

من أوراق أبو نواس

(الورقة الأولى)

« ملك أم كتابة ؟ »

صاح بي صاحبي ؛ وهو يُلقى بذره في الهواء
ثم يلقفه ..

(خارجين من الدرس كُنا .. وخبر الطفولة فوق الردى
والعصافير تمرق عبر البيوت ،
وتعبط فوق النخيل البعيد !)

... ..
« ملك أم كتابة ؟ »

صاح بي .. فانتبهت ، وزفت ذبابه
حول عينيْن لامعتين ..
فقلتُ : « الكتابة »

... فتَحَ اليد مبتسما ؛ كان وجه المليح السعيد
باسماً في مهابة !

« ملك أم كتابة ؟ »

صحَّت فيه بدورى ..

فرُفِرَ في مقلتيه الصبا والنجابة

وأجاب : « الملك »

دون أن يتلعثم .. أو يرتبك

وفتحت يدي ..

كان نقش الكتابة

بارزاً في صلابه !

دارت الأرض دورئها ..

حملتنا الشواذيف من هدأة النهر

ألقَتْ بنا في جداول أرض السراية

نتفرق بين حقول الأسى .. وحقول الصباية .

قطرتين ؛ التقينا على سلم القصر ..

ذات مساءً وحيداً

كنتُ فيه : نديم الرشيد

بينما صاحبي .. يتولى الحجابة !!

(الورقة الثانية)

من يملك العملة يُمسك بالوجهين
والفقراء بينَ يَينِ !

(الورقة الثالثة)

نائماً كنتُ بجانبه ؛ وسمعتُ الحرس

يوقظون أُنَى !

— خارجيُّ

— أنا .. !

— مارق

— من ؟ أنا !

صرخَ الطفلُ في صدر أُمِّي

(وأُمِّي محلولةُ الشعر واقفةً في ملابسها المنزلية)

— إخرسوا

واختبأنا وراء الجدارِ

— اخرسوا

وتسلَّل في الحلقِ خيطٌ من الدم

كان لُي يمسكُ الجرحَ ،

يمسكُ قامته .. ومَهَابَتِهِ العائليَّة !

— يا أُنَى

— اخرسوا

وتواريت في ثوب أُمِّي ، والطفلُ في صدرها مائتس

ومضوا بأنى تاركين لنا اليممتشحات بالخرس

(الورقة الرابعة)

أيها الشعرُ .. يا أيها الفرح المُمختلن

... ..

كل ما كنتُ أكتبُ في هذه الصفحة الورقيَّة

صادرتَه العسن

... ..

(الورقة الخامسة)

(الورقة السادسة)

لا تسألني إن كان القرآن
مخلوقاً أو أزلني
بل سألني إن كان السلطان
لصاً .. أو نصف نبي

(الورقة السابعة)

كنت في كربلاء
قال لي الشيخ أن الحسين
مات من أجل جرعة ماء
... ..
وتساءلت كيف السيوف استباححت بني الأكرمين
فأجاب الذي بصرته السماء
إنه الذهب المتلألئ في كل عين
... ..
إن تكن كلمات الحسين
وسيوف الحسين

... وأمي مخادمة فارسيه

يتناقل سادتها قهوة الجنس وهي تدبر الحطب
يتبادل سادتها النظرات لاردافها ..
عندما تنحني لتضيء اللهب
يتندّر سادتها الطيّبون بلهجتها الأعجمية !

نائماً كنت جائتها ، وأريث ملاك القدس
ينحني ، ويُرَبّت وجنتها
وتراخي الذراعان عني قليلاً
وسارت بقلبي قشعريرة الصمت
— أمي ؛ وعاد لي الصوت
— أمي ؛ وجاوبني الموت
— أمي ؛ وعانقتها .. وبكيت
وغام لي الدمع حتى احتبس !

وجلالُ الحسين
سَقَطَتْ دونَ أنْ تُنْقِذَ الحَقُّ من ذَهَبِ الأمراءِ
أُفْقِدَ أنْ تُنْقِذَ الحَقُّ ثُرُوءَ الشعراءِ
والفراءُ لسانَ من الدم لا يَجِدُ الشفيعينِ ؟

• • •

(١)

اللَّوْحَةُ الأولى على الجدار :
ليلي « الدمشقية »

من شرفة « الحمراء » ترنو لمغيبِ الشمسِ ،
ترنو للخيوطِ البُرْتَقَالِيَّةِ
وكرمة أندلسيَّة ، وفسقيَّة

....
وطبقاتُ الصمْتِ والغبارِ !

نقش

(مولاي ، لا غالب إلا الله !)

ماتَ من أجل جرعة ماء ..
فاسقني يا غلام صباح مساء
اسقني يا غلام ..
علني بالمدام ..
أتناسي الدماء !

اللوحة الأخرى .. بلا إطار :
 للمسجد الأقصى .. (وكان قبل أن يحترق الرواق)
 وقبة الصخرة ، والبراق
 وآية تأكلت حروفها الصغار !
 نقش

(مولاي ، لا غالب إلا .. التار !)

اللوحة الدائمة الخطوط ، والواهيّة الخيوط :
 لعاشق يحترق الأجفان
 كان اسمه « سرحان »
 يمسلُ بندقيّة .. على شفا السقوط
 نقش

(بيني وبين الناس تلك « الشعرة »
 لكن من يقبض فوق الثورة
 يقبض فوق الجمرة !)

اللوحة الأخيرة :
 خريطة مبتورة الأجزاء
 كان اسمها « سيناء »
 ولطخة سوداء
 تملأ كل الصورة

نقش

(الناس سواسية — في الذل — كأستان المشط
 ينكسرون — كأستان المشط
 في لحيّة شيخ النفط !)

• • •

كتابة في دفتر الاستقبال :
 لا تسأل النيل أن يعطى وأن يلدأ
 لا تسأل .. أبدا
 إني لأفتح عيني (حين أفتحها !)
 على كثير .. ولكن لأرى أحدا !!

يبيعون لسيارات أصحاب الملايين .. الرياحين
 وفي « المترو » يبيعون الدبايس و « يس »
 وينسلون في الليل يبيعون « الجعارين »
 لأفواج الغزاة السائحين !

... ..
 هذه الأرض التي ما وَعَدَ اللهُ بها ..
 مَنْ خرجوا من صُلُبها ..
 وانغرسوا في تربها ..
 وانطرحوا في حُبها ..
 مُستشَهِدين !

... ..
 فادخلوها « بسلام » آمين !!

« خاتمة »

آه .. من يُوقَفُ في رأسى الطواحين ؟
 ومن ينزِعُ من قلى السكاكين ؟
 ومن يقتل أطفالى المساكين ..
 لئلا يكبروا في الشَّقَقِ المفروشة الحمراء
 خدامين ..
 مأبونين ..
 قوادين ..

من يقتل أطفالى المساكين ؟
 لكيلا يصبحوا — في الغد — شحاذين ..
 يستجدون أصحاب الدكاكين
 وأبواب المرايين

أَقْوَالٌ جَدِيدَةٌ عَنْ حَرْبِ الْبَسُوسِ

३२१

مقتل كليب « الوصايا العشر »

.. فنظر « كليب » حواليه وتحسر ، وذرف دمعة وتعبّر ، ورأى
عيداً واقفاً فقال له : أريد منك يا عبد الخير ، قبل أن تسلبني ، أن
تسحبني إلى هذه البلاطة القريبة من هذا الغدير ، لأكتب وصيتي
إلى أخى الأمير سالم الزبير ، فأوصيه بأولادى وقلدة كبدي ..

فسحبه العبد إلى قرب البلاطة ، والريح غارس في ظهره ، والدم
يقطر من جنبه .. فغمس « كليب » إصبعه في الدم ، وخط على
البلاطة وأنشأ يقول ..

قصة الأمير سالم الزبير

لاتصالح

(١)

لاتصالح !

.. ولو منحوك الذهب

أترى حين أفقاً عينيك ،

ثم أثبتت جوهريين مكانهما ..

هل ترى .. ؟

هى أشياء لا تشتري .. :

ذكريات الطفولة بين أخيك وبينك ،

حسكنا - فجأة - بالرجولة ،

هذا الحياء الذى يكبت الشوق .. حين تعانقه ،

الصمت - مبتسمين - لتأنيب أمكما ..

وكانكما

ما تزالان طفلين !

تلك الطمأنينة الأبدية بينكما :

أن سيفان سيفك ..

صوتان صوتك

أنك إن مت :

للبيت رب

وللطفل أب .

هل يصير دمي - بين عينيك - ماء ؟

أتنسى ردائي الملطخ ..

تلبس - فوق دماي - ثياباً مطرزة بالقصب ؟

إنها الحرب !

قد تثقل القلب ..

لكن خلفك عار العرب .

لا تصالح ..

ولا تتوخ الهرب !

(٢)

لاتصالح على الدم .. حتى بدم !
لاتصالح ! ولو قيل رأس برأس ،
أكل الرأس سواء ؟ !

أقلب الغريب كقلب أخيك ؟ !
أعيناه عينا أخيك ؟ !

وهل تتساوى يد .. سيفها كان لك
ييد سيفها أنكلك ؟

سيقولون :

جئناك كي تحقن الدم ..
جئناك . كن — بأمر — الحكم

سيقولون :

ها نحن أبناء عم .
قل لهم : إنهم لم يُراعوا العمومة فيمن هلك .
واغرس السيف في جبهة الصَّحراء ..
إلى أن يجيب القدم .

لأنني كنت لك .
فارساً .

وأخاً .
وأباً .
ومليك !

(٣)

لاتصالح ..
ولو حرمتك الرقاد
صرخات الندامة .
وتذكر ..

(إذا لأن قلبك للنسوة اللابسات السواد ولأطفالهن الذين
تخاصمهم الابتسامة)

أن بنت أخيك « الجمامة »

زهرة تسريل — في سنوات الصبا —

بشباب الحداد .

كنت ، إن عدت :

تعدو على درج القصر ،
تمسك ساقى عند نزولسى ...
فأرفعها — وهى ضاحكة —
فوق ظهر الجواد .

ها هي الآن .. صامتة .

حرمها يدُ الغدير :

من كلماتِ أيها ،

أرتداء الثياب الجديدة ،

من أن يكون لها — ذات يوم — أخ !

من أب يتَّسَّم في عرسها ..

وتعود إليه إذا الزوج أغضبها ..

وإذا زارها .. يتسابق أحفاده نحو أحضانها ،

لينالوا الهدايا ..

ويهلوا بلحيته (وهو مستسلم)

ويشعلوا العمامة .

لا تصالح !

فما ذنبُ تلك اليمامة

لترى العشَّ محترقاً .. فجأةً ،

وهي تجلس فوق الرماذ ؟ !

(٤)

لاتصالخ

ولو تُوجوك بتاج الإمارة .

كيف تخطو على جثة ابن أهلك .. ؟

وكيف تصير المليك ..

على أوجه البهجة المستعارة ؟

كيف تنظر في يد من صافحوك ..

فلا تبصر الدَّم ..

في كل كف ؟

ان سهماً أتانى من الخلف ..

سوف يبيئك من ألف تخلف .

فالدُّم — الآن — صار وساماً وشارة .

لاتصالخ ،

ولو تُوجوك بتاج الإمارة

إن عرشك : سيف

وسيفك : زيف

إذا لم تزن — بدوائبه — لحظات الشرف

واستطببت — الترف

لاتصالح

ولو قال مَنْ مال عند الصدام

« .. ما بنا طاقةً لامتشاق الحسام .. »

عندما يملأ الحق قلبك :

تدلع النار إن تَنفَسْ

ولسان الخيانة يخرس

لاتصالح ،

ولو قيل ما قيل من كلمات السلام .

كيف تستشق الرثان السيم المدنس ؟

كيف تنظر في عيني امرأة ..

أنت تعرف أنك لا تستطيع حمايتها ؟

كيف تُصنح فارسها في الغرام ؟

كيف ترجو غداً .. لوليد ينام

— كيف تحلم أو تغنى بمستقبل لغلام

وهو يكبر — بين يديك — بقلب منكس ؟

لا اتصالح

ولا تفتسم مع من قتلوك الطعام .

وأرو قلبك بالنم ..

وأرو التراب المقدس ..

وأرو أسلافك الراقدين ..

الى أن ترد عليك العظام !

(٦)

لاتصالح ،

ولو ناشدتك القبيلة

باسم حزين « الجليلة »

أن تسوق الدهاء ،

وتبدي — لمن قصدوك — القبول .

سيقولون :

ها أنت تطلب ثأراً يطول .

فخذ — الآن — ما تستطيع :

قليلاً من الحق ..

فى هذه السنوات القليلة .

إنه ليس ثأرك وحدك ،

لكنه ثأر جيل فجيل .

وعدا ..

سوف يولد من يلبسُ الدرعَ كاملةً ،
يوقد النارَ شاملةً ،
يطلبُ النارَ ،
يستولد الحقَّ ،

من أضلح المستحيل .

لا تصالُح ،

ولو قيلَ إن الصالِحَ حيلةٌ .

إنه النارُ .

تهبُّ شعلتهُ في الضلوع ..

إذا ما توالَّت عليها الفصول ..

ثم تبقى يدُ العارِ مرسومةً (بأصابعها الخمس)

فوق الجباهِ الذليلة ! .

(٧)

لا تصالُح ، ولو حذرْتُكَ النجوم

ورمى لك كُهانها بالنبأ ..

كنتُ أغفر لو أنني ميتٌ ..

ما بين خيطِ الصوابِ وخيطِ الخطأ .

لم أكن غانياً ،

لم أكن أتسلُّ قربَ مضاربهم

أو أحومُ وراءَ التخومِ

لم أمدَّ يداً لئامِ الكرومِ

أرضَ بستانهم لم أطأ

لم يصيحَ قاتلي نى : « اتَّيَبَ ! »

كان يمشى معى ..

ثم صافحني ..

ثم سار قليلاً

ولكنه في الغصونِ أختبأ !

فجأة :

تقبَّضتني قشعريرُهُ بين ضلعين ..

واهتزَّ قلبي - كفقاعة - وانفثاً .

وتحاملتُ ، حتى احتلمتُ على ساعدي

فرايتُ : ابنَ عمي الزنيمِ

واقفاً يتشفَّى بوجهِ لعيمِ

ليقتلني بمشيئته

ليس أنبل مني .. ليقتلني بسكينتيه ،

ليس أمهر مني .. ليقتلني باستدارته الماكرة

لا تصالح ،

فما الصلح إلا معاهدة بين نذرين ..

(في شرف القلب)

لا تُنْقَصْ

والذي اغتالني مخض لصر

سرق الأرض من بين عيني

والصمت يُطلق ضحكته الساخرة !

(٩)

لا تصالح ،

ولو وقفت ضد سيفك كل الشيوخ ،

والرجال التي ملأها الشروخ ،

هؤلاء الذين يُحبون طعم الثريد ،

وامتطاء العبيد ،

لم يكن في يدي حرية ،

أو سلاح قديم ،

لم يكن غير غيظي الذي يتشكى الظما .

(٨)

لا تصالح ،

إلى أن يعود الوجود لدورته الدائرة :

النجوم .. لميقاتها

والطيور .. لأصواتها

والرمال .. لذراتها

والقتيل لطفاته الناضرة .

كل شيء تحطم في لحظة عابرة :

النبا — بهجة الأهل صوت الحصان — التعرف بالضيف — مهمة

القلب حين يرى برعماً في الحديقة يندى — الصلاة لكي ينزل المطر

الموسم — مراوغة القلب حين يرى طائر الموت

وهو يرفرف فوق المبارزة الكاسرة .

كل شيء تحطم في نزوة فاجرة .

والذي اغتالني : ليس رباً ..

هؤلاء الذين تدلّت عمامتهم فوق أعينهم ،
وسيوفهم العريضة قد نسيّت سنوات الشموع
لا تصالّح ،

فليس سوى أن تريّذ .

أنت فارسُ هذا الزمانِ الوحيدِ
وسواك .. المسوخ !

((١٠))

لاتصالّح

لاتصالّح !

« فلما جاءته الوفود ساعية الى الصلح ، قال لهم الأمير سالم
أصالح اذا صالحت اليمامة . فقصدت الى اليمامة أمها الجليلة ومن معها
من نساء سادات القبيلة ، فدخلن إليها ، وسلمن جميعا عليها ، وقبل
الجليلة بنتها وقالت : أما كفى ؟ فقد هلك رجالنا وساعت أحوالنا
وماتت فرساننا وأبطالنا . فأجابتها اليمامة : أنا لا أصالح ، ولو لم يبق
أحد يقدر أن يكافح .. »

نوفمبر « تشرين الثاني » ١٩٧٦

أبى .. لا مزيد !

أريد أنى ، عند بوابة القصر ،

فوق حصان الحقيقة ،

منتصباً .. من جديد

...

ولا أطلب المستحيل ، ولكنه العدل :

هل يرث الأرض الابنوها ؟

وهل تناسي البساتين من سكنوها ؟

وهل تتنكر أغصانها للجنود ..

(لان الجنود مهاجر في الاتجاه المعاكس ؟)

هل تترنم قيثارة الصمت ..

الا إذا عادت القوس تدرع أوتارها القصية ؟

والصنبر ! حتى متى يتحمل أن يحبس القلب ..

قلبي الذي يشبه الطائر الدموي الشريد ؟

... ..

هيا الشمس ، تلك التي تطلع الآن ؟

أم أنها العين - عين القتل - التي تتأمل شاخصة :

دمه يترسب شيئاً فشيئاً ..

ويخضر شيئاً فشيئاً ..

فتطلع من كل بقعة دم : فم قرمزى ..

وزهره شر ..

وكفان قابضتان على منجل من حديد ؟

هيا الشمس ؟ أم أنها التاج ؟

هذا الذي يتقل فوق الرؤوس الى أن يعود

الى مفترق الفارس العربي الشهيد ؟

... ..

أقول لكم : أيها الناس كونوا أناسا !

هيا النار ، وهى اللسان الذى يتكلم بالحق !

ان الجروح يظهرها الكى ،

والسيف يصفله الكثير ،

والخبز ينضجه الوهج ،

لاتدخلوا معمدانية الماء ...

بل معمدانية النار ..

كوّنوا لها الخطب المشتبه والقلوب : الحجارة ،

كوّنوا .. الى أن تعود السماوات زرقاء ،

والصحراء بتولا ..

تسير عليها النجوم محملة بسلال الورود .

... ..

أقول لكم : لا نهاية للدم ..

هل في المدينة يضرب بالبوق ، ثم يظل الجرح

على سرير النوم ؟

هل يرفع الفخ من ساحة الحقل .. حتى تطمئن العصفور

أن الحمام المطوق ليس يقدم بيضته للشعابين ..

حتى يسود السلام

فكيف أقدم رأس أي ثمناً ؟

من يطالبني أن أقدم رأس أي ثمناً .. تمر القوافل آمنة

وتبيع بسوق دمشق : حبراً من الهند ،

أسلحة من بخارى

وتبتاع من بيت جالاً العبيد ؟

« مرآتي الجماسة »

صار مرآتنا في يد الغريباء .

وصارت سيوف العدو : سقوط منازلنا .

نحن عباد شمس يشير بأوراقه نحو أزقة الظل .

إن التويج الذي يتناول :

يخزق هامته السقف ،

يخطر قامته السيوف ،

إن التويج الذي يتناول :

يسقط في دمه المنسكب !

نستقي — بعد خيل الأجانب — من مياه أبارنا .

صوف حملاننا ليس يلتف إلا على مغزل الجزية .

النار لا توهج بين مضاربنا .

بالعيون الخفيفة نستقبل الضيف .

أبكارنا ثيبات ..

وأولادنا للفراش ..

ودراهمنا فوقها صورة الملك المُقتصب .

أبداً الصبايَا الخنائن تَضُمُّ على صدره نصف ثوب .
وتَبْقَى عيُونُ كليپ مسمرة في شواشي الجنائن .

أسائل :

من للصغار الذين يَطْبِرُونَ — كالتَّخِيل — فوق التلال ؟

ومن للعذارى اللواتي جَعَلْنَ القلوب :

قوارير تحفظ رائحة البرتقال ؟

ومن سيروُضُ مُهَرَّ الخيال ؟

ومن سيَضْمُدُ — في آخر الصيد — جُرَحَ الغزال ؟

ومن للرجال ..

إذا قيل « ما نسب القوم » ؟ ...

فانسكبث في خلود الرمال دموع السؤال ؟

بناتُ أوى — الزهرات الصغيرة — يسألنني

لم أبكى أبى !

ويمكن مثل ،

ويخلدن للتوأم حين أغالب دمعى ،

وأروي لهن الحكايا

عن المليك النسر

والملك التعلب

فإن نمن .. جاء أوى .. ليهز الأراجيح ..

يلمس وجناتهن ..

ويعطى لهن اللعب ..

ويمضى .. وعيناه مسبلتان ..

وساقاه تشتكيان التعب ..

أبى ظامىء يارجال

أريقوا له الدم كي يرتوى .

وصبوا له جرعة جرعة في الفؤاد الذى يكتوى

عسى دمه المتسرب بين عروق النباتات ،

بين الرمال ..

يعود له قطرة قطرة ..

فيعود له الزمن المنطوى .

.....

كليب يموت ..

ككليب تصادفُهُ في الفلاة ؟

إذن فلماذا كسا وجههُ الصورةَ الآدميةَ ؟

هل كَرَّمَ الله أنسائه ؟

مات من مات كلباً .. فأين إذن ذهبَ الآدمي الذي

قد بُراه ؟

خصومةٌ قلبي معَ الله

قلبي صغيرٌ كفستقهِ الحزين .. لكنَّهُ في الموازين

أثقلُ من كِفَّةِ الموتِ

هل عَرَفَ الموتُ فقدَ أبيه ،

هل اغترفَ الماءَ من جَنَولِ الدَّمعِ ،

هل لبسَ الموتُ ثوبَ الجِدادِ الذي حاكهُ .. ورماه ؟

خصومةٌ قلبي معَ الله

أين وريثُ أبي ؟

ذهبَ الملكُ ،

لكنَ لاسمِ أَى حقٍّ أن يتناقله أبْنه عنه

فكيفَ يموتُ أبي مرتين ؟

أيتها الأنجمُ المتلونةُ الوجهِ :

خصومةٌ قلبي معَ الله .. ليسَ سواه
أبي أخذَ المُلْكَ سيفاً لسيف ، فهل يُؤخَذُ المُلْكُ
منهُ اغتيالاً ،

وقدَ كلَّتهُ يدا الله بالتاج ؟ !

هل تنزعُ التاجَ إلا اليدانِ المباركتان ،

وهل هانَ نأْموسُهُ في البيَّةِ

حتى يتوجَّ لصُ .. بما سرقتهُ يداهُ ؟

خصومةٌ قلبي معَ الله ..

إني أُنزِهَ سهمَ منيتهِ أن يحميَ من الخلفِ ،

إن الذي يُطلقُ السهمَ ليسَ هو القوسَ ..

بل قلبُ صاحبه ،

والذي يجعلُ النفسَ تستقبلُ الموتَ راضيةً .. تُبَلِّ واهبه

فأنا أرفضُ الموتَ غدراً ..

فهل نزلَ اللهُ غنَ سهمهِ الذهبيِّ لمن يستهينَ به .

هل تكونُ مكانَ أصابعِهِ .. بصماتُ الخطاهِ ؟

خصومةٌ قلبي معَ الله .. ليسَ سواه !

قولى له :

قد سلّبت حياتين ..

أُتبق حياه ..

وَرُدَّ حياه ..

خصومة قلبي مع الله .

هذا الكمال الذى خلق الله هيأته ،

فكسًا العظم بالذبح ،

ها هو : جسماً — يعود له — دون رأس ،

فهلّ تتقبل بوابِ النيبِ ما شابه العيب ،

أم أن وجه العدالة :

أن يرجع الشلّو للأصل ،

أن يرجع البعْد للقبيل ،

أن ينهضَ الجسدُ المتمزّقُ مكتملَ الظلّ

حتى يعودَ إلى الله .. متحداً فى بهاء ؟

(٣)

يجيئ أخى

هل عباءة الريح ؟

هل سيفه البرق ؟

هل يتمنطقُ فوق جوارِدِ السحاب ؟

يجيئ أخى !

غافلاً عن كتابِ المواريثِ

عَنْ دَمِهِ الْمَلَكِيّ ،

عن الصولجان الذى صارَ مقبضهُ العاج :

رأسَ غرابٍ !

يجيئ أخى .

(كَانَ يَعْرِفُهُ الْقَلْبُ !)

أَقْدَفُ تَفَاحَةٌ

يتصدى لَهَا وَهُوَ يَطْحَنُهَا بِالرَّكَابِ !

(هِيَ الْخَطَا الْبَشَرِيّ الذّى حَرَمَ النَّفْسَ فَرْدَوْسَهَا)

(الْأَوَّلُ الْمُسْتَطَاب)

أُنْسَى ، فَأَقْدَفُ تَفَاحَةٌ ..

تستقرُّ على رأسِ حربته !

(أَيُّهَا الْوِطَنُ الْمُسْتَدِيرُ .. الذّى تَنْقُبُ الْحَرْبُ عَذْرَتَهُ)

(بِالْحَرَابِ)

.. وَتَفَاحَةٌ تَتَلَقَّفُهَا يَدُهُ !

(هِيَ جَوْهَرَةُ الْمُلْكِ ،

جَوْهَرَةُ الْعَدْلِ ،

جوهرَةُ الحبّ ..
فالحبُّ آب !

... ..

« أشارات تاريخية »

قلوبُ ثلاثيةَ شارةِ الزمنِ القادمِ المستجابِ
قفُّوا يا شباب !

البسوس :

هي المرأة التي أثارت الفتنة بين قيس ، وأشعلت الحرب أربعين سنة ، وأثارت بني بكر على بني تغلب ، وحملت اسمها الملحمة . وهو كما تقول الرواية (شاعرةٌ عجوز من عجائب الزمان ، ذات مكر واحتيال وخداع) . وكان لها أربعة أسماء (سعاد .. تاج بخت .. هند . البسوس) وهي أخت الملك حسان اليماني الذي قتله الأمير كليب م أجل أبنه عمه وخفيته الجليلة .

لمن جاء من رحم الغيب ،
نَحَاضُ بساقيه في بركةِ الدم ،
لم يتناثر عليه الرشاشُ ،
ولم تيدُ شائبةٌ في الثياب !
قفُّوا للهلال الذي يستديرُ ..
ليصبحَ هالات نورٍ على كل وجهٍ وباب !
قفُّوا يا شباب !
كليبٌ يعود ..

كليب بن ربيعة :

اسمه وائل وكليب لقبه ، نشأ في حجر أبيه ، ودرب على الحرب ، ثم تولى قيادة الجيش لبكر وتغلب زمنا .. « فكان ليث الصدام وزينة الليالي كما تقول الرواية .

كعنقاء قد أحرقت ريشها
لتظلل الحقيقة أبيض ..
وترجع حلتها - في سنا الشمس .. أزهى ..
وتفرد أجنحة الغد ..
فوق مدائن تنهض من ذكريات الحراب !!

ليلة بنت مرة :

شاعره .. أبنة عم كليب وزوجته التي انجبت له سبعة بنات
ولد بعد موته هو (المهجرس) البطل المنتقم لأبيه .

وبعد مقتل زوجها كليب على يد أخيها جساس خرجت من
نغلب وتنقلت مع بنى شيبان قومها مدة حروبهم حتى ماتت .

سامة :

كبرى بنات كليب .. تقول الرواية انها رفضت الدية في أيما

ثأنت تقول :

« أنا لا أصالح حتى يقوم والدي

ونسراه راكب يريد لقاكم »

وقد اختصمت مع امها لانها أخت قاتل كليب .. حتى رحل
الجليلة مع قومها .

ساس بن صرة :

عندما أعلنته الجامة وصية أبيها قال : انى لا اصالح الى الابد ما
دامت روحى فى هذا الجسد .

ابن عم لكليب وقاتله بعد ان نجحت البسوس (التى اقامت فى
بيافته) فى أن تثير الفتن : بأن أمرت عبيدها أن يطلقوا ناقةها الجرباء
بى فى البستان المعروف بحى كليب . وتدمر الاشجار والاسوار ..
نئى أمر كليب بذبح الناقة . ويقال أن جساسا هو آخر قتيل فى
رب البسوس التى استمرت منذ مقتل كليب وحتى مصرع جساس
عين عاما .

لهل بن ربيعة :

هو سالم الملقب بالزير أو أبو ليلى المهلهل الكبير .. أخو
يب وطل السيرة والملحمة .. يصفه الرواه : (بالاسد الكرار والبطل
المغوار صاحب الاشعار البديعة والوقائع المهولة المريعة) .

« تذييل »

« حاولت أن أقدم في هذه المجموعة حرب البسوس التي استمرت أربعين سنة عن طريق رؤيا معاصرة .

وقد حاولت أن أجعل من كليب رمزا للمجد العرفي القليل للارض العربية السليبية التي تريد أن تعود الى الحياة مرة أخرى ولا ترى سبيلاً لعودتها أو بالأحرى لاعادتها الا بالدم .. وبالدم وحده ..

وهذه المجموعة عبارة عن قصائد مختلفة ، استحضرت شخصيات الحرب وجعلت كلا منها يدلي بشهادتها التاريخية حول رؤيتها الخاصة .. ومن الطبيعي أن يكون لكل من هذه الشخصيات شهادتها المختلفة عن شهادة الأخرى ..

لقد استحضرت الملك كليب نفسه في ساعاته الأخيرة ، وأدلت اليمامة التي كانت ترفض الصلح بشهادتها وكذلك فعل المهلهل الذي قاد الحرب انتقاما له .. وقدمت شهادة جساس مع تبرأته لجريمته ثم

شهادة جلييلة بنت مرة الممزقة بين البطلين .. « زوجها وأختها » ثم أتيت بشهادات لبعض الشخصيات التي تلعب دورا معلقا على الأحداث ..

أمل دنقل

عن مجلة آفاق عربية ١٩٨١

والديوان بصورته الأخيرة هذه .. يحتوى على شهادتين أو
قصيدتين فقط هما : « الوصايا العشر » ، وأقوال الإمامة ومراثيها « وقد
كتب قصائده ما بين (١٩٧٦ — ١٩٧٧) .

أما الشهادات (القصائد) الأخرى التى تحدث عنها أمل فقد
ظلت تتبدل وتتغير يوما بعد آخر ، رافضة الوصول إلى حل يقنع
الشاعر باكتمالها النهاى ، ذلك على الرغم من اكتمال اجزاء كثيرة منها في
ذاكرة الشاعر (الذى لا يسجل قصيدته على الورق إلا بعد أن يقنع
باكتمالها الأخير)

ومات أمل قبل أن تكتمل شهاداته (قصائده) في ذم
المبدع ، وقبل أن يقنع ذهنه المبدع بصيغه ابداعية أخيرة ، وقبل أن
ينتقم الزهر لمقتل أخيه كليب ، وقبل أن تضع الحروب اوزارها ، لتظل
الرؤيا باحثة عن حل يكتمل في الابداع ، أو يتحقق في الواقع .

* * *

أوراق الغرفة [٨]

لنؤوب و لوقه روضه
 ١١ قلم
 رقيه
 و امه

عم صباحاً أيها الصقر المَجَنِّح
 عم صباحاً .
 سنة تمضي ، وأخرى سوف تأتي .
 فمتى يقبل موتى ..
 قبل أن أصبح — مثل الصقر —
 صقراً مستباحاً ؟!

بكائية لصقر قريش

[٨] شعاع رطل

الورقة الأخيرة الجنوى

صورة

هل أنا كنت طفلاً ..
أم ان الذى كان طفلاً سوى ؟
هذه الصور العائلية ..
كان أبى جالساً ، وأنا واقف .. تتدلى يداى !

رفسة من قَرَسٍ
فَرَكْتُ فى جيبى شجاً ، وعَلِمْتُ القلب أن يحترس .
أتذكر ...
سال دمي
أتذكر ..
مات أبى نازفاً .

أتذكر ..
هذا الطريق إلى قبره ..
أتذكر ..
أختى الصغيرة ذات الريمين .
لا أتذكر حتى الطريق إلى قبرها
المنطمس

أو كان الصبى الصغير أنا ؟
أم ترى كان غيرى ؟
أحدق ..
لكن تلك الملاح ذات العنوية .
لا تنتمى الآن لى .
والعيون التى تترقرق بالطيبة
الآن لا تنتمى لى .
صرْتُ عنى غريباً .
ولم يتبق من السنوات الغريبة
إلا صدى اسمى ..

وأسماء من أتذكّزهم — فجأة —

بين أعمدة النعي ،

أولئك الغامضون : رفاق صباى .

يقبلون من الصمت وجهاً فوجها ..

فيجتمع الشمل كل صباح ،

لكى نأتس .

وجه

كان يسكن قلبي

وأسكن غرفته

نتقاسم نصف السرير ،

ونصف الرغبة ،

ونصف اللقافة ،

والكتب المستعارة .

هجرته حبيبته في الصباح فمزق شريانه في المساء ،

ولكنه بعد يومين مزق صورتها ..

واندهش .

لم يتخدش .

واستراح من الحرب ..

عاد ليسكن بيتا جديداً

ويكسب قوتا جديداً

يدخن علبة تبغ بكاملها

ويجادل أصحابه حول أخيرة الشاي ..

لكنه لا يطيل الزيارة .

عندما احتقنت لوزتاه ، استشار الطبيب ،

وفى غرفة العمليات ..

لم يسطحب أحداً غير تحف ..

وأنبوبة لقياس الحرارة ،

فجأة مات !

لم يحتمل قلبه سريان المخدر ،

وانسحبت من على وجه سنوات العذابات ،

عاد كما كان طفلاً ..

يشاركني في سريري
وفي كسرة الخبز ، والتبغ ،
لكنه لا يشاركني .. في المرارة !

وجه

من أقاصي الجنوب أتى ، عاملاً
للبناء
كان يصعد « سقالة » ويغنى لهذا الفضاء
كنت أجلس خارج مقهى قريب ،
وبالأعين الشاردة ..
كنت أقرأ نصف الصحيفة ،
والنصف أخفى به وسخ المائدة .
لم أجد غير عيتين لا تبصران ..
وخيطة الدماء .
وانحنيت عليه .. أجس يده
قال آخر : لا فائدة

صار نصف الصحيفة كل الغطاء
وأنا .. في العراء

وجه

ليت « أسماء » تعرف أن أباه صعد
لم يمض
هل يموت الذي كان يحيا
كأن الحياة أبد !
وكأن الشراب نفذ !
وكأن البنات الجميلات يمشين فوق الزبد !
عاش منتصباً ، بينما
ينحنى القلب يبحث عما فقد .
ليت « أسماء » تعرف أن أباه الذي ..
حفظ الحب والأصدقاء تصاويره :
وهو يضحك ،

وهو يفكر،

وهو يفتش عما يقيم الأوذ .

ليت « أسماء » تعرف أن البنات الجميلات ..

تجبانه بين أوراقهن ،

وعلمته أن يسير ..

ولا يلتقى بأحد !

مرآة

— هل تريد قليلاً من البحر ؟

— إن الجنوى لا يطعمن إلى اثنين يا سيدى :

البحر — والمرأة الكاذبة .

— سوف آتيك بالرمل منه

... وتلاشى به الظل شيئاً فشيئاً ،

فلم أستبته

— هل تريد قليلاً من الخمر ؟

— إن الجنوى يا سيدى يتهبب شيئين :

قنينة الخمر — والآلة الحاسبة .

— سوف آتيك بالثلج منه .

وتلاشى به الظل شيئاً فشيئاً ...

فلم أستبته .

بعدها لم أجد صاحبي

لم يعد واحد منهما لى بشئ

— هل تريد قليلاً من الصبر ؟

— لا ..

فالجنوى يا سيدى يشتهى أن يكون الذى لم يكن

يشتهى أن يلاقى اثنتين :

الحقيقة — والأوجه الغائبة .

ضد من

يَأْتِي المَعْرُونُ مَتَشَحِين ..

بِشَارَاتِ لَوْنِ الحَدَادِ ؟

هَلْ لِأَنَّ السَّوَادَ ..

هُوَ لَوْنُ النِّجَاةِ مِنَ المَوْتِ ،

لَوْنُ التَّحِيمةِ ضِدَّ .. الزَّمَنِ ،

ضِدَّ مَنْ .. ؟

وَمَتَى القَلْبُ — فِي الحَفَقَانِ — اطمَأَنَّ !؟

بَيْنَ لَوْنَيْنِ : أَسْتَقْبِلُ الأَصْدِقَاءَ ..

الَّذِينَ يَرُونَ سِرِيرِي قَبْرًا

وَحَيَاتِي ... دَهْرًا

وَأَرَى فِي العَيُونِ العَمِيقَةِ

لَوْنَ الحَقِيقَةِ

لَوْنَ تَرَابِ الوَطَنِ !

فِي غُرْفِ العَمَلِيَّاتِ ،

كَانَ نِقَابُ الأَطْءَاءِ أبيضَ ،

لَوْنُ المَعَاظِفِ أبيضَ ،

تَاجُ الحَكِيمَاتِ أبيضَ ، أَرْدِيَةُ الرَّاهِبَاتِ ،

المَلَأَاتُ ،

لَوْنُ الأَسْرَةِ ، أَرِبْطَةُ الشَّاشِ والقَطَنِ ،

قَرَصُ المَنُومِ ، أُنْبُوءَةُ المَصَلِ ،

كُوبُ اللَّبَنِ .

كُلُّ هَذَا يَشِيعُ بِقَلْبِي الوَهْنُ .

كُلُّ هَذَا البَيَاضُ يَذْكُرُنِي بِالكُفْرِ !

فَلِمَاذَا إِذَا مَثُّ ..

ثم أفاقت على عَرضِها في زجاج الدكاكين ، أو بين أيدي
المنادين ،

حتى اشترتها اليدُ المتفضلةُ العابرةُ

تتحدث لي ..

كيف جاءت اليّ ..

(وأحزائها الملكية ترفع أعناقها الخضر)

كى تتمنى لى العمر !

وهى تجود بأنفاسها الآخرة !!

كلُّ باقة ..

بين إغماءة وإفاقة

تتنفس مثلى — بالكاد — ثانية .. ثانية

وعلى صدرها حَمَلَتْ — راضية ..

اسمَ قاتليها في بطاقة !

زهور

وسلايل من الورد ،

ألمحها بين إغفاء وإفاقة

وعلى كل باقة

اسمُ حاملها في بطاقة

... ..

تتحدث لي الزهراء الجميلة

أن أعينها اتسعت — دهشة —

لحظة القطيف ،

لحظة القصيف ،

لحظة إعدامها في الحميلة !

تتحدث لي ..

أنها سقطت من على عرشها في البساتين

السريـر

أوهمنى بأن السريـر سريـرى !
أن قارب « رغ »

سوف — يحملنى عبر نهر الأفاعى
لأولـد فى الصبح ثانية .. إن سَطَعَ

(فوق الورق المصقول
وضعوا رقمى دون اسم
وضعوا تذكرة الدم
واسم المرض المجهول)

أوهمنى فصَدَّقْتُ ..

(هذا السريـر

ظننى — مثله — فاقد الروح

فالتصقت بى أضلاعـه

والجمادى يضمُّ الجمادى ليحيـمـة من مواجهة الناس !

صيرتُ أنا والسريـر ..

جسداً واحداً .. فى انتظار المصير !

(طولَ الليالـى الألف

والأذرعـة المعدنـ

تلتف وتتمكـن

فى جسدى حتى النزف

صيرتُ أقدرُ أن أتقلبَ فى نومتى واضطجاعى

أن أتحرك نحو الطعام ذراعى ..

واستبان السريـر خداعى ..

فارتعش !

وتداخل — كالفنـغـذ الحـجـرى — على صمته وانكـمـش

قلتُ : يا سيدى .. لَمْ جافيتى ؟

قال : ها أنت كلمتى ..

وأنا لا أجيـب الذين يـمـرون فوق

سوى بالانين

فالأسرة لا تستريح إلى جسد دون آخر
الأسرة دائمة

والذين ينأمون سرعان ما ينزلون

نحو نهر الحياة لكي يسبحوا

أو يفوصوا بنهر السكون !

في الميادين يجلس ،

يطلق — كالطفل — نبلته بالحصي ..

فيصطلي بها من يصيب من السابلة !

يتوجه للبحر ،

في ساعة المد :

يطرح في الماء سنارة الصيد ،

ثم يعود ..

ليكتب أسماء من علقوا

في أحاييله القاتلة !

لا يحبُّ البساتين ..

لكنه يتسلل من سورها المتآكل ،
يصنع تاجاً :

جواهره .. الثمر المتعفن ،
إكليله .. الورق المتفصن ،
يلبسه فوق طوق الزهور

الخريفية
الذابلة !

يتحول : أفعى .. ونايا
فيرى في المرايا ::

جسدين وقلبين متحدتين ،

(تَغِيْمُ الزوايا

وتحكى العيون حكايا)

فينسل بينهما ..

مثل خيط من العرق المتفصّد ،

يلعق دَفءَ مسامهما ،

يفرسُ النَّابَ في موضع القلب :

تسقط رأسُ الفتى في الغطاء ،

وتبقى الفتاة ..

محدقة

ذاهلة .. !

أمس : فاجأته واقفا بجوار سريري

ممسكاً — بيد — كوب ماء

ويد — بحبوب الدواء

فتناولها .. !

كان مبتسماً

وأنا كنت مستسلماً

لمصري !!

عن لذة الاغتراب
وعبودية الأغصن الثابتة .

(٢)

أخذوا أصدقاؤى للسجن ،
لكنهم فى لىالى الحنين
يقبلون ، لنشرب كأسين ..
فى البار ذى الردهة الخالية
فاذا دقت الساعة الثانية

صفق الخدم المتعبون
فاختفى أصدقاؤى وهم يضحكون
— نلتقى ثانية
— نلتقى الليلة التالية ..

... ..

بعدها خرجوا : انقطع الخيط ما بيننا
واستطال السكون
كان ما بينهم : ذكريات .. وخبز مريّر
ومسحة حزن

ديسمبر

(١)

تساقط أوراق « ديسمبر » الباهتة !

... ..

هو عمّر من الريح
(هذا الذى بين أن تترك الورقة الغصن
حتى تلامس أطرافها حافة الأرض)
عمّر من الاضطراب
فافتش جوارى — أيتها الباحثات عن الذات —
وجه التراب
وتعالين .. نرو الأفاصيص ..
عن راحة الروح

قلت : ها أصبحوا ورقا ثابتا في شجرة سجن
فمتى يفلتون
من الزمن المتوقف في ردهات الجنون ؟

(٣)

هاهو الرُخُّ ذو المخلين يحوم ..
ليحمل جثة ديسمير الساخنة
ها هو الرخ يهبط ..
والسحب تلقى على الشمس طرحتها الداكنة

قالت الراهبات :

(سلام على الأرض !)

يا أيها الرُخُّ : كم جثة حملتها غالك الأبدية خلف الجبل ؟؟
ما الذي نحن نعطيك — يا أيها الرخ — منذ الأزل ؟
ما الذي نحن نعطيك ؟
لا شيء إلا تواييت ، لا شيء ،
إلا المبادلة الخائبة .
جثث تراكم في الضفة الساكنة

بينما نحن — نمتلك النور
عشب البحيرات — صوت الكناريا —
مجالسة الورد — أنشودة المهدي — رقص
النبات الصغيرة في العرس — تمتمة
القط في الصلوات — حبر الينابيع —
هذا التساؤل عن لون عينين عاشقتين ،
كنافذتين على البحر — طعم القبل ؛
بينما أنت من ظلمة العدم الآسنة
تتلقى النفايات تلو النفايات دون كلل
عاجزا عن ملازمة الفرح العذب ،
عن أن تبل جناحك في مطر القلب
أن تتطهر بالركة الفاتنة !!

(٤)

قلت للورق المتساقط من ذكريات الشجر
إنني أترك الآن — مثلك — بيتي القديم
حيث تلقى بي الريح أرسو —

وليس معي غير :

حزنى المقيم
وجواز السفر !

الطيور

(١)

الطيور مشردة في السموات ،
ليس لها أن تخط على الأرض ،
ليس لها غير أن تتقاذفها فلوأث الرياح !
ربما تنزل ...

كى تستريح دقائق ..
فوق النخيل — النجيل — التماثيل —
أعمدة الكهرباء —

حواف الشبايك والمشريات
والأسطح الخرسانية .
(اهدأ ، ليلتقط القلب تنبيدة ،

والفم العذب تغريدة ،

والقط الرزق ..)

سرعان ما تتفرع ..

من نقلة الرجل ،

من نبلة الطفل ،

من ميلة الظل عبر الحوائط ،

من حصوات الصياح !

الطيور معلقة في السموات

ما بين أنسجة العنكبوت الفضائي : للريح

مرشوقة في امتداد السهام المضيق

للشمس ،

(رفرف ..

فليس أمامك —

والبشر المستببحون والمستباحون : صاحون —

ليس أمامك غير الفراز ..

الفراز الذي يتجدد .. كل صباح !)

(٢)

والطيور التي أقعدتها مخالطة الناس ،

مرّت طمانينة العيش فوق مناسيرها ..

فانتحّت ،

وبأعينها .. فارتحّت ،

وارتضت أن تقاؤه حول الطعام المتأخ

ما الذي يبقى لها .. غير سكينه الذبيح ،

غير انتظار النهاية .

إن اليد الآدمية .. واهبة القمح

تعرف كيف تسن السلاح !

(٣)

الطيور .. الطيور

تحتوى الأرض جثمانها .. في السقوط الأخير !

والطيور التي لا تطير ..

ضوت الريش ، واستسلمت

هل ترى علمت

أن عمر الجناح قصير .. قصير !؟

الجنأُ حفا
والجنأُ ردى .
والجنأُ نأة ..
والجنأُ .. سدى !

الآفول

(١)

الفتوحأ — فى الأرض — مكأوبة بدماء الآفول .
وأأوء الممالك
رسمأها السناألك .
والركابان : مزان عأل ًمائل مع السلف ..
أأف ًمائل !

.. .

أركضى أو قفى الآن .. أأها الآفل :
لسأ المأفراء صأأا
ولا العاءفاء — كأ قفل — صأأا

ولا خضرة في طريقك تمحي
ولا طفل أضحي

إذا ما مررت به .. يتنحي ؛

وها هي كوكبة الحرس الملكي ..
تجاهد أن تبعث الروح في جسد الذكريات
بدق الطبول .

اركض كالسلاحف

نحو زوايا المتاحف ..

صيرى تمائيل من حجر في الميادين

صيرى أراجيح من خشب للصغار — الرياحين ،

صيرى فوارس حلوى بموسمك النبوي ،

وللصبية الفقراء : حصاناً من الطين

صيرى رسوما .. ووهماً

تجف الخطوط به

مثلما جف — في رثيك — الصهيل !

(٢)

كانت الخيل — في البدء — كالناس

برية تتراكم عبر السهول

كانت الخيل كالناس في البدء ...

تمتلك الشمس والعشب

والملكوث الظليل

ظهرها .. لم يوطأ لكى يركب القادة الفاتحون ،

ولم يلمن الجسد الحر تحت سياط المروضي

والفم لم يمثل للجم ،

ولم يكن الزاد .. بالكاد ،

لم تكن الساق مشكولة ،

والخوافر لم يك يثقلها السنبك المعدني الصقيل .

كانت الخيل برية

تنفس حرة

مثلما يتنفسها الناس

وفي ذلك الزمن الذهبي النبيل

° ° °

أركضى... أو قفى

زمن يتقاطع

واختبرت أن تذهبي في الطريق الذى يتراجع

تنحدر الشمس

ينحدر الأمس

تنحدر الطرق الجبلية للهوة اللانهائية :

الشهب المتفحمة

الذكريات التى أشهرت شوكرها كالفنايد

والذكريات التى سلخ الخوف بشرتها .

كل نهر يحاول أن يلمس القاع

كل النايبع إن لمست جدولاً من جداولها

تختفى

وهى .. لا تكتفى !

فأركضى أو قفى

كل درب يقودك من مستحيل إلى مستحيل !

(٣)

الخيل بساط على الريح ..

سار — على متنه — الناس للناس عبر المكان

والخيل جدار به انقسم

الناس صنفين :

صاروا مشاة .. وركبان

والخيل التى انحدرت نحو هوة نسيانها

حملت معها جيل فرسانها

تركت خلفها : دمعة الندم الأبدى

وأشباح خيل

وأشباح فرسان

ومشاة يسرون — حتى النهاية — تحت ظلال الهوان .

أركضى للقرار

وأركضى أو قفى في طريق الفراز .

تساوى محصلة الركض والرفض في الأرض ،

ماذا تبقى لك الآن ؟

ماذا ؟

سوى عرق يتصبّب من تعب

يستحيل دنائير من ذهب

في جيوب هُوَاةٍ سلااتك العربية

في حلبات المراهنة الدائرية

في نزهة المركبات السياحية المشتهاة

وفي المتعة المشتركة

وفي المرأة الأجنبية تعلوك تحت

ظلال أُمّ الهول ..

(هذا الذي كسرت انفه

لعنة الانتظار الطويل)

استدارت — إلى الغرب — مزولة الوقت

صارت الخيل ناساً تسيّر إلى هُوَاة الصمت

بينما الناسُ خيلٌ تسيّر إلى هوة الموت !

جاء طوفانُ نوح !

... ..

المدينةُ تفرّق شيئاً .. فشيئاً

تفرّ العصفيرُ ،

والماء يعلو .

على درجات البيوت — الحوانيت — مبنى البريد — اليه

التمائيل (أجدادنا الخالدين) — المعابد — أجولة القمح

مستشفيات الولادة — بوابة السجن — دار الولاية —

أروقة الثكنات الحصينة .

العصفيرُ تجلو ..

رويداً ..

رويداً ..

ويطفو الإوزُ على الماء ،

يطفو الأثاث ..

ولعبة طفل ..

وشهقة أم حزينة

الصبايا يلوحن فوق السطوح !

ناء طوفان نوح .

أهم « الحكماء » يفرّون نحو السفينة

المغنون — سائس خيل الأمير — المرابون —

قاضى القضاة

.. ومملوكه ! —

فامل السيف — راقصة المعبد

(ابتهجت عندما انتشلت شعرها المستعار)

— جباة الضرائب — مستوردو شحنات السلاح —

شقيق الأميرة في سمته الأتوى الصبوح !

ناء طوفان نوح .

أهم الجبناء يفرّون نحو السفينة .

بنا كنت ..

كان شباب المدينة

يلجمون جواد المياه الجموح

ينقلون المياه على الكتفين .

ويستبقون الزمن

يبتنون سدود الحجارة

عَلَهُمْ ينقلون مهاد الصبا والحضارة

عَلَهُمْ ينقلون .. الوطن !

.. صاح في سيد الفلك — قبل حلول

السكينة :

« انج من بلد .. لم تعد فيه روح ! »

قلت :

طوبى لمن طعموا خبزه ..

في الزمان الحسن

وأداروا له الظهر

يوم المحن !

ولنا المجد — نحن الذين وقفنا

(وقد طمس الله اسماءنا !)

نتحدى الدمار ..
ونأوى إلى جبل لا يموت

(يسمونه الشعب !)

نأى الفرار ..
ونأى النزوح !

... ..

... ..

... ..

كان قلبى الذى نسجته الجروح
كان قلبى الذى لعنته الشروح
يرقد — الآن — فوق بقايا المدينة
وردة من عطن

هادئاً ..

بعد أن قال « لا » للسفينة
.. وأحبّ الوطن !

خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين

ها أنت تسترخي أخيراً ..
فوداعاً ..

يا صلاح الدين .
يا أيها الطبلُ البدائي الذى تراقص الموق
على إيقاعه المجنون .

يا قارب الفلين
للغرب الفرق الذين شتتهم سفن القراصنة
وأدركتهم لعنة الفراعنة .
وسنة .. بعد سنة ..

صارت لهم « حطين » ..
تميمة الطفل ، واكسير الغد العنيد

(جبل التوباد حيّاك الحيا)
(وسقى الله ثرانا الأجنبي !)

مَرَّتْ خيولُ التُّركِ
مَرَّتْ خيولُ الشُّركِ
مَرَّتْ خيولُ الملك — النسر ،
مَرَّتْ خيولُ التترِ الباقين
ونحن — جيلا بعد جيل — في ميادين المراهنة
نموت تحت الأحصنة !
وأنت في المذيع ، في جرائد التهوين
تستوقف الفارين
تخطب فيهم صائحا : « حطين » ..
وترتدى العقال تارة ،
وترتدى ملابس الفدائيين
وتشربُ الشاي مع الجنودِ
في المعسكرات الحشنة

وترفع الراية ،

حتى تسترد المدن المرتهنة
وتطلق النارَ على جوادك المسكين
حتى سقطت — أيها الزعيم
واغتالتك أيدي الكهنة !

(وطني لو شُغِلْتُ بالخلد عنه ..)
(نازعتني — لمجلس الأمن — نفسي !)

ثم يا صلاح الدين
ثم .. تتدلى فوق قبرك الورود ..
كالمظليين !
ونحن ساهرون في نافذة الحنين
نُقشِّرُ التفاح بالسكين
ونسأل الله « القروض الحسنة » !
فاتحة :
آمين .

تصّر الریح ؛ وأضلّأُك كالروض المصنوخ
تتشهى لذغة الشمس التي تنسج للدفعِ وشاحا !

أنت ذا باقٍ على الرايات مصلوبا .. مباحا

— « اسقني .. »

لا يرفع الجنّد سوى كوبٍ دم .. مازال يسفح !

— « اسقني .. »

— هاك الشراب النبوی ..

اشربه عذبا وقراحا

مثلما يشربه الباكون ..

والماشون في أنشودة الفقر المسلخ !

— « اسقني .. »

لا يرفع الجنّد سوى كوبٍ دم مازال يسفح !

بينما « السادة » في بوابة الصمت المملح

يتلقون الرياحا

ليلفوها بأطراف العباءات ..

يدقوا في ذراعها المسامير ..

بكاية لصقر قريش

عم صباحاً .. أيها الصقر المجنح

عم صباحا ..

هل ترقبت كثيرا أن ترى الشمس

التي تغسل في ماء البحيرات الجراحا

ثم تلهو بكرات الثلج ،

تستلقى على التربة ،

تستلقي .. وتلفح !

هل ترقبت كثيرا أن ترى الشمس .. لتفرخ

وتسد الأفق للشرق جناحا ؟

أنت ذا باقٍ على الرايات .. مصلوبا .. مباحا

وتبقى أنت

(ما بين خيوط الوشي)

زرأ ذهبياً

يتأرجح !

وقف « الأغراب » في بوابة الصمت المملح

يشهرون الصلَف الأسود في الوجه سلاحا

ينقلون الأرض : أكياساً من الرمل .

وأكداساً من الظل

على ظهر الجواد العربي المترنح !

ينقلون الأرض ..

نحو الناقلات الراسيات — الآن — في البحر

التي تنوى الرواحا

دون أن تطلق في رأس الحصان

طلقة الرحمة ،

أو تمنحه بعض امتنان !

عِمْ صباحاً أيها الصقرُ المُجنَّح

عِمْ صباحاً .

سنة تمضي ، وأخرى سوف تأتي .

فمتى يقبل موتى ..

قبل أن أصبح — مثل الصقر —

صقراً مستباحاً !!

قالت امرأة في المدينة

(١)

سيف جدى على حائط البيت .. ييكى :

وصورته فى ثياب الركوب !

(٢)

قالت امرأة فى المدينة

من ذلك الأموى الذى يتباكى على دم عثمان !

من قال إن الخيانة تنجب غير الخيانة ؟

كونوا له يا رجال ..

أم تحبون أن يتفنى أطفالكم تحت

سيف ابن هند ؟

... ..

ربما ردت الريح — سيدى — نصف رد

ضاع .. وابتلعه الرمال !

نحن جيل الحروب ..

نحن جيل السباحة فى الدم ..

ألقت بنا السفن الورقية فوق ثلوج العدم

(قبضات القلوب —

وحدها — حطمتها .. ومازال فيها الأسى والندوب ..)

نحن جيل الألم

لم نر القدس إلا تصاوير

لم نتكلم سوى لغة العرب الفاتحين

لم نتسلم سوى راية العرب النازحين ،

ولم نتعلم سوى أن هذا الرصاص

مفتاح باب فلسطين

فاشهد لنا يا قلم

أننا لم ننم

أننا لم نقف بين « لا » و « نعم »

ما أقل الحروف التى يتألف منها اسمُ ما ضاعَ من وطني ..
واسمُ من مات من أجله

من أبح أو حبيب !

هل عرفنا كتابةً أسمائنا بالمداد

على كتبِ الدرس ؟

ها قد عرفنا كتابة أسمائنا

بالأظافرِ فى غرفِ الحبس

أو بالدماء على جيفة الرمل والشمس ،

أو بالسواد على صفحات الجرائد قبل الأخيرة .

أو بمحدد الأرامل فى ردهاتِ (المعاشات) ،

أو بالغبائر الذى يتوالى على الصورِ

المنزلية للشهداء

الغبائر الذى يتوالى على أوجه الشهداء ..

إلى أن .. تغيب !!

قالت امرأة فى المدينة :

من يجرؤ الآن أن يخفض العلمَ القرمزى

الذى رفعته الجماجم ،

أو يبيعَ رغيفَ الدم الساخن المتخثر فوق الرمال .

أو يمدّ يداً للعظام التى ما استكانت

(وكانت رجال ..)

كى تكونَ قوائمٌ سائدةٌ للتواقيع

أو قلماً

أو عصا فى المراسم ؟

... ..

لم يجيبها أحد ..

غير سيفٍ قديم ..

وصورة جد !

إلى محمود حسن إسماعيل
في ذكره

واحد من جنودك يا سيدى .
قطعوا يوم مؤتة منى اليمين
فاحتضنت لواءك بالمرفقين
واحتسبت لوجهك مستشهدى !

واحد من جنودك — يا أيها الشعر —
هل يصل الصوت ؟
(والريح مشدودة بالمسامير !)
هل يصل الصوت ؟
(والعصافير مرصودة بالنواطير !)

هل يصل الصوت ؟
أم يصل الموت ؟
قل لى ، فإنى أناديك
من زمن الشعراء — الأناشيد
للشعراء — السجاجيد

من زمن الشعراء — الصعاليك
للشعراء — المماليك .
أرسم دائرة بالطباشير
لا أتجاوزها !

كيف لى ؟ وأنا أتمزق ما بين رُحَين !
والقدمان معلقتان بفخين !
أعيانى الكُرُّ والفُرُّ
واجتازنى الخيرُ والشرُّ

أيسر . تيسرُ ، حتى تعسرُ ، حتى تعثرُ .
أيمن . تيمنُ ، حتى تيممُ ، حتى تيمثُ .
أين المقر ؟ وأين المقر ؟
للخفافيش أسماؤها التى تتسمى بها !
فلمن تتسمى إذا انتسب النور !

والنورُ لا ينتمي الآن للشمس
فالشمسُ هالائها تتحلّق فوق العقالات .
هل طلع البدرُ من يثرب أم من الأحدي ؟
وبانت سعادُ ..

تراها تبينُ من البردة النبوية
أم من قلنسوة الكاهنين الحَزْرَ ؟
واحدٌ من جنودك يا سيدي

ألف يميّت ويث ..

واحتوتك الكويت !

فعرفت بموتك أين غدى !

واحدٌ من جنودك — يا أيها الشعرُ — !
كُلُّ الأحبة يرتحلون

فترحل شيئاً فشيئاً من العين ألفةً هذا الوطنُ
تغربُ في الأرض . نصبحُ أغربةً في التآيين نهمي
زهور البساتين

لا تزقّف في صحيف اليوم إلا أمام العناوين
مرؤها دون أن يطرف الجفن .

سرعان ما نفتح الصفحات قبيل الأخيرة ،
ندخلُ فيها نجالسُ أحرفها ،
فتعود لنا ألفة الأصدقاء ، وذكرى الوجوه
تعود لنا الحيوة ، والدهشة العَرَضِيَّةُ
واللون ، والأمن ، والحزن .

هذا هو العالم المتبقى لنا : إنه الصمتُ
والذكريات ، السوداء هو الأهل والبيت .

إن البياضَ الوحيدَ الذي نرتجيه
البياضَ الوحيدَ الذي نتوحدُ فيه :

بياضُ الكفن !

واحدٌ من جنودك يا سيدي
خبزه يُخبزُ ضيقُ
ماؤه بل ريقُ

والماتُ بعينه كالمولود

واحدٌ من جنودك يا سيدي
يركع الآن ينشدُ جوهرةً تتخبأ في الوحل
أو قمرأ في البحيرات ،
أو فرساً نافراً في الغمام .

ها هو الآن ، لا نهر يغسل فيه الجروح
وينهل من مائه شربة تمسك الروح
لا منزل لا مقام
فعلى الراحلين السلام
والسلام على من أقام .

« تذييل »

يضم هذا الديوان القصائد الأخوية التي كتبها أمل دنقل (١٩٤٠ - ١٩٨٣) طوال فترة مرضه الذي صارعه أربع سنوات . من أوائل سبتمبر ١٩٧٩ إلى أواخر مايو ١٩٨٣ . ولم نجد لهذا الديوان عنواناً أكثر صدقاً من « أوراق الغرفة (٨) » ، فالديوان يتطوى على أوراق أمل الأخوية ، والغرفة رقم (٨) هي آخر الغرف التي قاوم فيها أمل مرضه ، قرابة عام ونصف ، في الدور السابع من « المعهد القومي للأكورام » ، من فبراير ١٩٨٢ إلى يوم رحيله الساعة الرابعة من صباح السبت ، الحادى والعشرين من مايو ١٩٨٣ .

و « الجنوى » هي الورقة الأولى في هذا الديوان ، ولكنها الورقة الأخيرة في رحلة إبداع أمل دنقل ، فقد كتبت في فبراير ١٩٨٣ ، وتتطوى على رؤيا النهاية التي اكتملت دائرياً ، بعد تأملات الغرفة (٨) عام ١٩٨٢ ، تلك التأملات التي صاغتها قصائد : « ضد من » ، و « زعمور » (وكانت الكتابة النهائية لكتبتها في مايو ١٩٨٢) و « لعبة النهاية » (الكتابة النهائية في يونيو ١٩٨٢) و « السرير » (نوفمبر ١٩٨٢)

قصائد متفرقة

وهناك قصائد أخرى — في هذا الديوان تنتمي إلى تاريخ مقارب ، منها « الطيور » و « الخيول » ، وقد كتبت كلتاهما عام ١٩٨١ ، ولكن أمل ظل يغير ويبدل فيهما — كمادته في الحرص على أقصى درجات الدقة اللغوية ، وأقصى درجات التجانس البنائي — إلى أن أستقر على الصياغة الأخيرة للطيور في أكتوبر من العام الماضي ، والصياغة الأخيرة للخيول في أواخر ديسمبر من العام نفسه . وعلى العكس من هاتين القصيدتين ، مازالت قصيدته في الذكرى الرابعة لعمود حسن إسماعيل — إبريل ١٩٨١ — تنتظر اللمسة الأخيرة ، ولم تملك سوى أن ستخلصها من آخر مسوداتها .

أما بقية قصائد هذا الديوان فترجع إلى فترة زمنية تمتد من عام ١٩٧٥ . لا تمثل هذه القصائد كل ماكتبه أمل دنقل في الرحلة السابقة على مرضه ، ولكنها كثر ماوجدته السيدة زوجته — عيلة الروني — من قصائد هذه المرحلة إنساقا مع الدلالات الأساسية التي ينطوي عليها هذا الديوان .

إلى صديقة دمشقية

إذا سبائك فائذ التتار

وصرت محظية ...

فشد شعرا منك في سعار

وافترض عذرية ..

واغرورقت عيونك الزرق السماوية

بدمعة كالصيف ، ماسية

وغبت في الأسوار ؟

فمن ترى يفتح عين الليل بابتسامة النهار ؟

مازلت رغم الصمت والحصار
أذكر عينيك المضيئتين من خلف الحمار
وبسمة الثغر الطفولية ..
أذكر امسياتنا القصار
ورحلة السفح الصباحية
حين التقينا نضرب الأشجار
ونقذف الأحجار
في مساء فسقيه !

قلت — ونحن نسدل الأستار
في شرفة البيت الأمامية :
لا تبتعد عني
أنظر الى عيني
هل تستحق دمعاً من أدمع الحزن ؟

ولم أجبك ، فالمباخر الشامية
والحب والتذكر
طغت على لحنى
لم تبق منى وهم ، أغنيه !
وقلت ، والصمت العميق تدقه الأمطار
على الشوارع الجليدية :
عدت إليك .. بعد طول التيه في البحار
أدفن حزني في عيب الخصلات الكستنائية
أسير في جناتك الخضر الريبية
أبل ريق الشوق من غدرانها ،
أغسل عن وجهي الغبار !!
نافحت عنك قائد التار
رشقت في جواده .. مدية
لكننى خشيت أن تمسك الأخطار
حين استحالت في الدجى الرؤية
لذا استطاع في سحابة من الغبار
أن يخطف العذراء .. تاركاً على يدي الإزار

كآلوهـم ، كالفريه !

... ..

(.. مابالنا نستذكر الماضي ، دعى الاظفار ..

لا تنبش الموتى ، تعرى حرمة الأسرار ..)

• • •

ياكم تمت زمرة الأشرار

لو مزقوا تنورة في الخصر .. بنية

لو علموك العزف في القيثارة

لتطريهم كل أمر

حتى اذا انفضت أغانيك البمشقية

تناهبوك ؛ القادة الأقزام .. والإنصار

ثم رموك للجنود الانكشارية

يقضون من شبابك الاوطار !

• • •

الآن .. مهما يقرع الاعصار

نوافذ البيت الزجاجية ،

لن ينطفئ في الموقد المكدود رقص النار

تستدق الأيدي على وهج العناق الحار

كبي تولد الشمس التي تختار

في وحشة الليل الشتائية !

أيلول ١٩٦٦

وظلّت الأيدى تراوح الملاعب الصغيرة
وظلّت الشفاه تلغق الدماء !

عشاء

قصصتهم في موعد العشاء
تطلعون إلى برهة ،
ولم يرد واحد منهم تحية المساء !
... وعادت الأيدى تراوح الملاعب الصغيرة
في طبق الحساء
... ..
نظرت في الوعاء :
هتفت : « وبحكم .. دمي
هذا دمي .. فانتبهوا »
.. لم يأبهوا !

لكننى ..

حين استقرت عينه على :

أدرت رأسى عنه ..

لم أقو على هريق عينيه الخفيف !

• • •

وحينا تحملى وأصدقائى فى الطريق .. موجة المرح
ونسترد روحنا فى الضحكات والغناء .

أبصره .. فى الجانب الآخر . يرنو مستخفاً ، باسمها
فإن تجاوزناه .. ألقى عقب سيجارته على الطوار
وداسه مغمغماً ..

ثم اختفى ..

كأنه شبح !

وفى طريق العودة الليلى .. ألقاه
يخرج من جوف الظلام فجأة .. على غير انتظار .
كأن باباً — فى الشتاء — مغلقاً .. قد انفتح
كأن تياراً من الهواء

البطاقة السوداء

« إلى أنور المعداوى »

أراه من نوافذ المترو .. على محطات الوقوف
مستنداً بكتفه اليسرى إلى الجدار
يدير فى أصبعه سلسلة

فضية الأطار

يرقب — باسمها — تزامح المناكب القصير

تمسح عيناه زجاج النافذات الأبيض الشفيف ..
كأنه يبحث عن أحد .

كأنه يرقب من شرفته ،

هرولة السارين فى تساقط الأمطار والبرد !

يكنس من أعصاني الدفء .. وينسأه !

.. يمر لي ، مدثرا بالمعطف الثقيل ،

هاديء الخطى ،

تلمع في الظلام عيناه

يسأل — هامسا — عن الوقت بلا اكتراث
ويختفي ..

كأن احدى الشجرات احتضنته ..

صبرته بعض ظلها الكثيف !

وفي سويغات الضحى المشتمسة المعتدلة

حين تنقر العصافير ثمار التوت ،

مستدفقة من لذعة الحريف

أجلس في المائدة المنعزلة ..

محدثا صديقتي ..

في ذلك المقهى الريمي الأليف

— حيث يمر النيل راعيا مغنيا

ويرفع الصباح راية الفرح —

مرتشفين من عصير الكلمات .. والنهار

معتنقين في ضمائر الحروف ..

وفجأة ..

يسقط من يدي القدح !

ألمه مددا ساقيه في المائدة المقابلة

يرمقني من خلف نظارته السوداء خفية ،

مخبتا بسمته خلف صحيفة الصباح .. المهمله !

• • •

وعندما دخلت « باراداي » في اليوم الاخير

رأيت .. يخترق المقاعد الملقاة .. والأضواء

ويفتح الصنبور

مشعت الشعر ، يضح قلبه بالرعب واللاهات

.. تساقطت — قبل اغتساله — على الحوض النقي بقعة

لكنه لم يكثرث !

رجل في المرأة شعره الغزير

ثم دنا من جمع اصدقائي الصغير

قلبا عينين ثعلبيتين في الوجوه ، صامتا
وفجأة ..

ألقى الينا ورقة دون اكرثا
ودون أن يلتفتا ؛

مضى الى الخارج ..
تاركا على المنضدة الحبرى بطاقته
.. كانت بطاقة سوداء ..

... ..

.. ومات في المساء !

لا أبكي

مصر لا تبدأ من مصر القرية
انها تبدأ من أحجار طيبة ،

انها تبدأ منذ انطبعت
قدم الماء على الأرض الجديية .
خلعته .. رفث الشمس ثقوبه .
في الواحد ، في الذات الرحبية .
انها ليست عصورا فهي الكل
أرضها لا تعرف الموت فما الموت
حولها الرقص وأعياد الخصوبة .
تعب القطرة في النيل فمن
وأسترد الماء في الوادي دروبه .
وأسترد الماء في مصر العذوبة .
ظماً البحر اذا ما مد كوبه !
فأسقى النيل به — ثانية —

هكذا شعبك يامصر ؟ له
 مات فيه الموت يوما .. فابتنى
 أبدا يبني ويأق غيره
 فاذا راح أبتى ثم ابتنى
 وكان الذل في الشعب ضريبة
 وكان الدم نيل آخر
 كل أبنائك يامصر مضوا
 الذي لم يقض في الحرب قضى
 والذي لم يقض في الفأس قضى
 اسمعى في الليل أنات الآسى
 انها اسماء من ماتوا .. ولم
 سيعودون ، فلا تبكى ، فما
 أترى تبكين من مات .. لكى
 والذي مات لكى ينفس في
 ولكى يختزن الطفل حقيقة
 ولكى يهوى حجاب الخوف عن

ولكى يرفع سيف العدل في
 والذي لولاه مامرت لنا
 اترى تبكين يامصر ؟ أنا
 شرف الأبناء أن يمضى أب
 شرف للأب أن يمضى فلا
 انما يبكى ضعاف الناس ان

وجه ابناء الممالك الغربية
 — في عبور النار للحرب — كتيبة
 لست أبكيه وان كنت ربيبه
 بعد أن قدم للمجد نصيبة
 تعترى أبنائه الروح الزغبية
 عجزوا ان يدركوا حجم المصيبة

١٩٧٣ م

وينوى من شفثيه القول !

الآف الارجح في وجهى ..

لكنك لا تدريين

أى وجوه تتدلى منها بسمات الزيف

ضائعة المعنى ، متأكلة الانف

... ..

أرشق في الحائط حد المطواة

والموت يهب من الصحف الملقاة

أتحزراً في المرآة

يصفعنى وجهى المتخفى بقناع الذل

أصفعه .. أصفع هذا الظل

تكل الناس يفارقهم ظلهم عند الليل

الا ظلي

ينسل معى ، يتمدد فوق وسادي المبتل !

البسمة حلم

والشمس هى الدينار الزائف

في طبق اليوم

من يمسخ عنى عرقى في هذا اليوم الصائف ؟

العراف الأعشى

قولى من أين ؟

الصمت نصيباً ..

والكلمات بلا عينين !

... ..

للمنى الليل .. وأدخلنى السرداب

(قدماى نسيتهما عند الاعتبار

ويداى تركتهما فوق الأبواب)

انك لا تدريين

معنى ان يمشى الانسان .. ويمشى ..

(بحثا عن انسان آخر)

حتى تتأكل في قدميه الأرض ،

والظلل الخائف

يتمدد من تحتي ، يفصل بين الأرض .. وبينى !

... ..

وتضاءلت كحرف مات بأرض الخوف :

(حاء .. باء ..)

(حاء .. راء .. ياء .. هاء)

الحرف السيف

مازلت أرود بلاد اللون الداكن

أبحث عنه بين الأحياء الموق .. والموق الأحياء

حتى يرتد النبض الى القلب الساكن

لكن .. !!

... ..

وأخيرا عدت

أحمل في صدري صمت الطاعة

وبلا .. ساعة

ماجدوى الساعة في قوم قد فقدوا الوقت ؟

ورجعت بدون كتاب غير كتاب الموت ،

وضجيج الناس

أغنية .. كغيط نعاس :

« لم نولد لنهز الدنيا »

« لم نخلق لنخوض معارك ! »

« نحن ولدنا ..

للالهام ..

للأحلام ..

للصلوات .. »

...

ضميني في صدرك .. حتى اتبأ

وأنا لا أكتب .. أو أقرأ !!

نجمة السراب

صديقتي شدت على يدي ..
وقالت : لن أزورَ غُرفَتَكَ
إن شئت .. فلنَبْقِ معاً إلى الأبد .
ولم أَرُدْ
لأن ثوب العرس — في معارض الأزياء —
نجمة تدور في سراب .
ولم أزل أدقُ باباً بعد باب
وخطوئي تنهيدة ، وأعيني ضباب
حتى بلغت غرفتي في آخر المطاف
وقطنتي تلذذ ...
مواؤها : عذاب أنثى ليلة المخاض

أنثى وحيدة .. تلذذ .
... وأخلد الجيران للسكون .
وقطعهم يجلس — في الشباك — ناعس العيون
يلعق في فرائه المنقط البياض
يلعق — عن فرائه — عذاب قطني الممتد
.. سعت إليه ذات ليلة ،
ولم تسله ثوباً للزفاف !
لأن ثوب العرس

— في معارض الأزياء —
نجمة تدور في سراب !!

أيدوم النهر

أيدوم لنا بستان الزهر
والبيت الهاديء عند النهر
ان يسقط خائفا في الماء
ويضيع .. يضيع مع التيار
وتفرقا الأيدي السوداء ..
ونسير على طرقات النار ..
لا نجرو تحت سياط القهر
ان نلقى النظرة خلف الزهر
ويغيب النهر .

أيدوم لنا البيت المرح
نتخاصم فيه ونصطلح
دقات الساعة والمجهول
تتباعد عني حين اراك
وأقول لزهر الصيف .. اقول
لو ينمو الورد بلا اشواك
ويظل البدر طوال الدهر
لا يكبر عن منتصف الشهر
آه يا زهر ..
لو دمت لنا ..
أو دام النهر .

١٤٩	الموت في لوحات
١٥٣	بطاقة كانت هنا
١٥٧	ظماً .. ظماً
١٦١	الحزن لا يعرف القراءة
١٦٤	بكائية الليل والظهيرة
١٦٩	اشياء تحدث في الليل
١٧٢	العشاء الاخير
١٨٠	حديث خاص مع ابي موسى الاشعري
١٨٦	من مذكرات المتنبي
١٩١	تعليق على ما حدث
١٩٣	في انتظار السيف !
١٩٧	فقرات من كتاب الموت
٢٠١	الحداد يليق بقطر الندى
٢٠٥	صفحات من كتاب الصيف والشتاء
٢١٠	تعليق على ما حدث في مخيم الوحدات
٢١٣	ميتة عصرية

٩٢	اوتوجراف
٩٤	شبيبتها
٩٧	العينان الخضراوان
	Petit Terianor
٩٩	الملهى الصغير
١٠٥	البكاء بين يدي زرقاء اليمامة
١٠٧	ديباجة
١٠٨	بكائية ليلية
١١٠	كلمات سبارتكوس الاخيرة
١١٧	الأرض .. والجرح الذي لا يفتح
١٢١	البكاء بين يدي زرقاء اليمامة
١٢٧	ايلول
١٣١	السويس
١٣٥	يوميات كهل صغير السن
١٤٣	اجازة فوق شاطئ البحر
١٤٦	موت مغنية مغمورة

الخيل	٣٨٧
مقابلة خاصة مع ابن نوح	٣٩٣
خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين	٣٩٧
بكائية لصقر قریش	٤٠٠
قالت امرأة في المدينة	٤٠٤
الى محمود حسن اسماعيل في ذكره	٤٠٨
تذيل	٤١٣
قصائد متفرقة	٤١٥
الى صديقة دمشقية	٤١٧
عشاء	٤٢٢
البطاقة السوداء	٤٢٤
لا أبكيه	٤٢٩
العراف الاعمى	٤٣٢
نجمة السراب	٤٣٦
ايدوم النهر	٤٣٨